الظواهر اللغوية في خواتيم سورة البقرة

م. د. ظافر عبدالله محمد علي
جامعة الموصل كلية التربية

الملخص

تعد خواتيم سورة البقرة كنزًا من كنوز القرآن الكريم وكذا هو الحال في ظواهرها اللغوية، فإنها غزيرة في صيغها الاسمية والفعلية وتنوع تراكيبها وتعدد أساليبها، غنية في دلائلها ومعانيها، لذا رغبت أن أدرس أبرز هذه الظواهر اللغوية، لنتذوق الاختيار الفريد والتعبير البليغ في حسن نظمه وبديع تأليفه في هاتين الآيتين الكريمتين، وذلك من خلال مباحث ثلاثة، فكان المبحث الأول يتحدث عن الصيغ الفعلية أنواعها ودلالاتها، التي أَثْرَت النص الشريف، وكذا المبحث الثاني فيه تفصيل عن الأسماء أنواعها ودلالاتها، كما تناول المبحث الثالث التراكيب أنواعها ودلالاتها فقد أسهمت في ثراء معاني الآيتين والوفاء بالأغراض التي سيقت من أجلهما .

Abstract

To promise end sura al bakraa Treasure some of Treasure the holy Koran and studying linguistic she it abundant in form nominal and verbal and the assembling and style rich in meaning this is to desire in three theme: the first: the form verbal and kind and the second: the form nominal and kind end the third: the assembling kind

تعريف بـ(سورة البقرة):

هذه السورة مدنية إلا آية إحدى وثمانين ومائتين، فقد نزلت بمنى في حجة الوداع، وسورة البقرة من السور التي أطلق عليها اكثر من اسم، فقد اشتهرت بـ(سورة البَقَرَةِ)، وذلك لاحتوائها على قصة البقرة، ويقال لها أيضا (فُسْطَاط القُرْآنِ) وَذَلِكَ لِعِظَمِهَا وَلِمَا جُمِعَ فِيهَا مِنَ الأَحْكَامِ الَّتِي لَمْ تُذْكَرْ فِي غَيْرِهَا، و(سَنَام القُرْآنِ) وَسَنَامُ كُلِّ شَيْءٍ أَعْلَاهُ. وَورد تَسْمِيَتُهَا وآل عِمْرَان بـ(الزَّهْرَاوَيْنِ)[١] .

من محتويات السورة:

هي أطول سور القرآن، مُتَرَامِيَةٌ أَطْرَافُهَا، فلا جرم انه لا نسْتَطِيعُ إِحْصَاءَ مُحْتَوَيَاتِهَا بِحُسْبَانٍ، وهذا لا يمنع من الاشارة الى موضوعات منها، التَّنْوِيه بِشَأْنِ الْقُرْآنِ. بعد ذلك صنفت الناس اصنافا وابتدأت بذكر المؤمنين والمشركين، ثم صنف أَهلِ النِّفَاق، والصنف الرابع وَهُمْ أَهْلُ

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ١/ ٤٤ و١٩١– ١٩٢ .

الْكِتَابِ، والرّدّ على منكري النبوّة، وابتلاء إبراهيم عليه السَّلام، وبناء الكعبة، ووصيَّة يعقوب لأَولاده، وتحويل القبلة، وبيان الصبر على المصيبة، وثوابه، ووجوب السعي بين الصفا والمروة، وبيان حُجَّة التَّوحيد، وطلب الحلال، وإباحة الميتة حال الضرورة، وحكم القِصاص، والأَمر بصيام رمضان، والأَمر بقتال الكفار، والأَمر بالحجّ والعُمْرة، وتعديد النعم على بنى إسرائيل وحكم القتال فى الأَشهر الحُرُم؛ وذكر المناكحات والصَّدقات والنَّفقات، ومناظرة الخليل عليه السَّلام؛ ونمْرُود، وإحياء الموتى بدعاءِ إبراهيم، وحكم الإخلاص في النفقة، وتحريم الربا، وتخصيص الرّسول –صلَّى الله عليه وسلم– ليلة المعراج بالإيمان. ثم خُتِمَتِ السُّورَةُ بِالدُّعَاءِ الْمُتَضَمِّنِ لِخَصَائِصِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَذَلِكَ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ فَكَانَ هَذَا الْخِتَامُ تَذْيِيلًا وَفَذْلَكَةً[١] .

من فضائل سورة البقرة وخواتيمها:

عن أَبى بُرَيدة عن أَبيه أَنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم قال: (تعلَّموا البقرة؛ فإن أَخذها بركة، وتركها حسرة، ولن يستطيعها البَطَلة)[٢]. وقال صلَّى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ لَا يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ) [٣]. وقال ﷺ: (اقرءُوا الزّهراوين: البقرة وآل عمران فإنَّهما يأْتيان يوم القيامة كأَنهما غَمَامتان أَو غَيَايتان أَو فِرْقان من طير صوافّ يحاجَّان عن صاحبهما)[٤] .

وعنه عليه السلام: (من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)[٥]، وعنه عليه السلام: (أُعْطِيتُ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ وَلَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي)[٦] .

وسندرس في خواتيم هذه السورة المباركة أهم الظواهر اللغوية، فان فيها ثروة طيبة من الالفاظ التي استعملها القرآن الكريم، من حيث الصيغ الفعلية وتنوعها وأثرها الدلالي في مواقعها المختلفة، وكذا أنماط الاسماء الواردة فيها وتنوعها الذي اثراها في الدلالة، فكل من ذلك وضع ليؤدي غرضا ومعنى مقصودا، فضلا عن أنماط التراكيب المتعددة التي قصدها العلماء بالنظر والتحليل واستنباط الفرائد الباهرة، فان القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، وفيما يأتي بيان وتفصيل لما اجمل ذكره :

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز،الفيروزآبادى:١/١٣٤وما بعدها، والتحرير والتنوير، ابن عاشور:١/ ٢٠٣ وما بعدها.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل رقم الحديث(٢٢١٤٦): ٣٦/ ٤٣٦ .

(٣) المصدر السابق رقم الحديث(٨٩١٥): ١٤/ ٤٨٩ .

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل رقم الحديث(٢٢١٤٦): ٣٦/ ٤٣٦ .

(٥) المصدر السابق رقم الحديث(١٧٠٦٨): ٢٨/ ٣٠٠ .

(٦) المصدر السابق رقم الحديث(٢١٥٦٤): ٣٥/ ٤٤٦ .

المبحث الأول: الصيغ الفعلية أنواعها ودلالاتها

ابتدأنا الحديث عن الأفعال دون الأسماء نظرًا لما ابتدأت به الآية الكريمة، فقد ورد في هاتين الآيتين الكريمتين مجموعة متنوعة من الأفعال سواء كانت أفعال ماضية أو مضارعة أو أمر، وبلغ عددها الكلي (١٩) تسعة عشر فعلا عدا المكرر. ويلاحظ أنَّ الآية الاولى كان نصيبها من هذه الافعال أقل من الآية الثانية وبشكل واضح اذ بلغ (٦) ستة أفعال فقط عدا المكرر، أكثرها جاء بصيغة الماضي، وهي (آمن– أُنزل– قال– سمع – أطاع)، وفعل واحد فقط جاء بصيغة المضارع (نُفرِّق) كما هو مبين في الجدول (١) الاتي:

ت	نوع الصيغة	الفاظ الصيغ•	
		(البقرة: ٢٨٥)	(البقرة: ٢٨٦)
		آمن(٢) *	كسب
		أُنزل	اكتسب
١	ماض	قال	نسي
		سمع	أخطأ
		أطاع	حَمَلَ
٢	مضارع	نُفرِّق	يُكلِّف
			تُؤاخذ
			تَحْمِل
			تُحَمِّل
٣	أمر		اعف
			اغفر
			ارحم
			انصر
المجموع		٦	١٣

(١) جدول يبين نوع والفاظ الصيغ الصرفية الواردة في خواتيم سورة البقرة:

• رتبت هذه الأفعال حسب ورودها .

* هذا الرقم لبيان عدد تكرارها .

وسندرس هذه الافعال حسب ورودها عدا الفعل الاول إذ جاء مكررا، حيث ابتدأت الآية الكريمة بأول هذه الافعال، وهو قوله تعالى: (آمن) وأصل آمَنَ أَأْمَنَ بهمزتين، ليّنت الثانية فقلبت ألفا، واختلف في وَزن هذا الفعل فقد ذكر بعض العلماء انه على وَزن (أَفْعَل) وَلَا يكون (فاعَل) . لان مضارعه (يُفاعِل)، ولَمَّا كَانَ مضارع (أَمن يُؤْمِن) دلّ ذَلِك على أَنَّ الْألف غير زَائِدَة[١] و(أَنَّهَا منقلبة عَن الْهمزَة وَإِنَّمَا انقلبت عَنْهَا ألفا لوقوعها سَاكِنة بعد حرف مَفْتُوح .. . . إلاّ أَن الانقلاب هَهُنَا لَزِمَهَا لِاجْتِمَاع الهمزتين والهمزتان إِذا اجتمعتا فِي كلمة لزم الثّانية مِنْهُمَا الْقلب بِحَسب الْحَرَكَة التّي قبلهَا إِذا كَانَت سَاكِنة نَحْو آمَن أُوتُمِن)[٢]. وكرر الفعل (آمن) مرتين ضمن قوله تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ) ومعنى (آمن) صَدَّقَ، أي: صَدَّقَ الرسول–ﷺ– بجميع هذه الأشياء التي جرى ذكرها وكذلك المؤْمنون. ومجيء (آمن) بصيغة الماضي على طريق الشهادة للرسول –ﷺ– وللمؤمنين من جهة الله –عزَّ وجلَّ– بكمال الإيمان وحسنِ الطاعةِ لهم قال الرازي: (أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا قَالَ: (وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ) (البقرة: ٢٨٤) بَيَّنَ أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ سِرِّنَا وَجَهْرِنَا وَبَاطِنِنَا وَظَاهِرِنَا شَيْءٌ الْبَتَّةَ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ عَقِيبَ ذَلِكَ مَا يَجْرِي مَجْرَى الْمَدْحِ لَنَا وَالثَّنَاءِ عَلَيْنَا، فَقَالَ: (آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ) كَأَنَّهُ بِفَضْلِهِ يَقُولُ عَبْدِي أَنَا وَإِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ جَمِيعَ أَحْوَالِكَ، فَلَا أُظْهِرُ مِنْ أَحْوَالِكَ، وَلَا أَذْكُرُ مِنْهَا إِلَّا مَا يَكُونُ مَدْحًا لَكَ وَثَنَاءً عَلَيْكَ، حَتَّى تَعْلَمَ أَنِّي كَمَا أَنَا الْكَامِلُ فِي الْمُلْكِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، فَأَنَا الْكَامِلُ فِي الْجُودِ وَالرَّحْمَةِ، وَفِي إِظْهَارِ الْحَسَنَاتِ، وَفِي السَّتْرِ عَلَى السَّيِّئَاتِ)[٣] ويكون إيمان الرسول–صلى الله عليه وسلم– بأمرين: تحمُّل الرسالة، وإبْلاَغ الأمة ، وأما إيمان المؤمنين فيكون بالتصديق والعمل . إذ ورد مسوقا للإخبار بأن الرسول –ﷺ– صدَّق بكلِّ ما فرضه الله على العباد، من العقائد والأحكام نحو: الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والإيلاء والحيض والجهاد، وما ورد ذكره في السورة المباركة من قصص الأنبياء –عليهم السلام– وغيرها من موضوعات. تصديق إذعان وإقرار واطمئنان، وكذلك المؤمنون الذين صدقوه واتبعوه آمنوا بما آمن به رسولهم وداعيهم إلى الحق عليه الصلاة والسلام[٤].

ونلحظ أنَّ الفعل الثاني (آمن) جاء بتوحيد الضمير فيه مع رجوعه إلى كل المؤمنين فقال: (آمَنَ): بالإفراد، ولم يقل: (آمنوا) بالجمع حملا على لفظة (كُلٌّ) إذ لفظة (كُلٌّ) (تصلح

---

(١) ينظر: الصحاح، الجوهري: ٥/ ٢٠٧١، والمخصص، ابن سيده: ٤/ ٥٤ .

(٢) المصدر السابق: ٤/ ٥٤ .

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي: ٧/ ١٠٦ .

(٤) ينظر: جامع البيان، الطبري: ٦/ ١٢٤ .

للإحاطة، وقد تستعمل غير محيطة على جهة التشبيه بالإحاطة والقرينة تبين ذلك في كل كلام، ولما وردت هنا بعد قوله (وَالْمُؤْمِنُونَ) دلَّ ذلك على إحاطتها بمن ذكر)[١]. وكذا من دلالات توحيد الضمير فيه التنصيص على كل واحد منهم (آمن) إيمان اعتقاد وجزم لا تقليد واتباع فانه يلزم الإيمان التفصيلي فيما علم تفصيلا من كل من ذلك والإجمالي فيما علم إجمالا، قال الآلوسي: (وتوحيد الضمير في (آمَنَ) مع رجوعه إلى كل المؤمنين لما أن المراد بيان إيمان كل فرد فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر في قوله تعالى: (وَكُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ) (النمل: ٨٧) وهو أبعد عن التقليد الذي هو إن لم يجرح خدش أي كل واحد منهم على حياله- آمن- بِاللَّهِ أي صدق به وبصفاته ونفي التشبيه عنه وتنزيهه عما لا يليق بكبريائه من نحو الشريك في الألوهية والربوبية وغير ذلك وَمَلائِكَتِهِ من حيث إنهم معصومون مطهرون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون من شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بإنزال الكتب وإلقاء الوحي ولهذا ذكروا في النظم قبل قوله تعالى: (وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ) أي: من حيث مجيئهما منه تعالى على وجه يليق بشأن كل منهما)[٢] .

ومجيء الفعل الماضي (أُنْزِلَ) بصيغة المبني للمجهول فيه اشارة الى غرض مهم فان الناظر في استعمال القرآن الكريم للمبني للمجهول يستطيع ان يتبين عدة اغراض يلجأ اليها القرآن للتعبير عنها بصيغة المبني للمجهول فانه يترك الفاعل ويأتي بما ينوب عنه لأغراض متعددة منها لفظي كالسجع كي تتساوى مقاطع الجمل أو معنوي كأن يحذف الفاعل للجهل به اذا لم تعلم فاعله او للعلم به فقد يكون معلوما للمخاطب فلا تذكره له[٣]، كما في هذا الموطن فان صيغة (أُنْزِلَ) المبني للمجهول ضمن قوله تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ) وبين العلماء المراد منها أي: نَزَلَ من عند اللَّهِ تعالى هذا القرآن وجملة ما فيه من الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ ما يعم كله وكل جزء من أجزائه فإنَّ الرسول -ﷺ- (عَرَفَ بِالدَّلَائِلِ الْقَاهِرَةِ وَالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ وَجُمْلَةَ مَا فِيهِ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ إِلْقَاءِ الشَّيَاطِينِ، وَلَا مِنْ نَوْعِ السِّحْرِ وَالْكَهَانَةِ وَالشَّعْبَذَةِ، وَإِنَّمَا عَرَفَ الرسول لأنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَلِكَ بِمَا ظَهَرَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْقَاهِرَةِ عَلَى يَدِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ)[٤] فضلا عمَّا تشير اليه هذه الصيغة الى ايمان الرسول -ﷺ- وتسليمه بكل ما ينزل اليه من الله سبحانه سواء كان القران

---

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية: ١/ ٣٩١ .

(٢) روح المعاني، الآلوسي: ٢/ ٦٥ .

(٣) ينظر: معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي: ٢/ ٦٢، و دراسات قرآنية في جزء عمَّ، د. محمود احمد نحلة: ١٩٥ وما بعدها .

(٤) مفاتيح الغيب: ٧/ ١٠٧ .

الكريم على جلالة قدره ام غيره (ففيه تحقيق لكيفية إيمانه ﷺ وتعيين لعنوانه أي آمن –عليه السلام– بكل ما أنزل إليه)[١] فان والمرادُ بما انزل إليه ما يعم كله وكل جزءٍ من أجزائه و(من ربه) الكتُب وغير ذلك من حيث إنه منزلٌ منه تعالى (وفي هذا الإجمال إجلالٌ لمحله –ﷺ– وإشعارٌ بأن تعلّقَ إيمانِه بتفاصيلِ ما أنزل إليه وإحاطته بجميع ما انطوى عليه منَ الظهورِ بحيثُ لا حاجة إلى ذكره أصلاً وكذا في التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام تشريفٌ له وتنبيهٌ على أن إنزاله إليه تربية وتكميلٌ له عليه السلام)[٢] .

ويتوسط الفعل المضارع (نُفَرِّقُ) ما بين مجموعة الافعال الماضية ضمن قوله: (لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ . .) وَالتَّفْرِيقُ هُنَا أُرِيدَ بِهِ التَّفْرِيقُ فِي الْإِيمَانِ بِهِ وَالتَّصْدِيقِ: بِأَنْ يُؤْمِنَ بِبَعْضٍ وَيَكْفُرَ بِبَعْضٍ. ومجيؤه هنا للإخبار عن استكمال ايمان المؤمنين بالرسل جميعهم وانهم لا يفرقون بين رسل الله تعالى ويكون هذا التأكيد والعزم فيما يستقبل من الزمان فان ذلك محله وهذا ما ناسب استعمال صيغة المضارع التي تدل على ذلك كما هو معلوم، فبعد استكمال الْقُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ بِهَذِهِ الْمَعَارِفِ الشَّرِيفَةِ من انهم آمنوا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، اخبروا بانهم لا يفرطون بهذا الايمان والاعتقاد أتبعه قولهم في القوة العملية والتطبيقية الكائنة في الوسط[٣]، قال الرازي: (فَقَوْلُهُ (كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِكْمَالِ الْقُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ بِهَذِهِ الْمَعَارِفِ الشَّرِيفَةِ وَقَوْلُهُ (وَقالُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا) إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِكْمَالِ الْقُوَّةِ الْعَمَلِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ الْفَاضِلَةِ الْكَامِلَةِ، وَمَنْ وَقَفَ عَلَى هَذِهِ النُّكْتَةِ عَلِمَ اشْتِمَالَ الْقُرْآنِ عَلَى أَسْرَارٍ عَجِيبَةٍ غَفَلَ عَنْهَا الْأَكْثَرُونَ)[٤]. فقد قالوا: (لا نفرق بين رسل الله تعالى بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل أهل الكتابين بل نؤمن بهم جميعا ونصدق بصحة رسالة كل واحد منهم وقيدوا إيمانهم بذلك تحقيقا للحق وتنصيصا على مخالفة أولئك المفرقين من الفريقين بإظهار الإيمان بما كفروا به فلعنة الله على الكافرين)[٥].

وقال الكل من المؤمنين بعدما ذكروا إيمانهم بكل ما ذكر :(وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) وقولهَ : (قالُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا) عَطْفٌ عَلَى (آمَنَ الرَّسُولُ)، ومجيء (قالُوا) مجموعا حملا على معنى (كلّ) إذ يفيد الجمع (وقد حمل على لفظ (كلّ) في قوله: (آمَنَ) فَأَفْرد

(١) ارشاد العقل السليم، ابو السعود: ١/ ٢٧٣ .
(٢) المصدر نفسه: ١/ ٢٧٤ .
(٣) ينظر: نظم الدرر، البقاعي: ٤/ ١٧١، والتحرير والتنوير، ابن عاشور: ٣/ ١٣٣ .
(٤) مفاتيح الغيب: ٧/ ١١٢ .
(٥) روح المعاني: ٢/ ٦٦ .

الضمير، وعلى معناه، فجمع في قوله: (وَقَالُوا سَمِعْنَا))[١]، ويؤتى بهذا الفعل للحكاية بالقول حيث تحكى الجملة بالقول على اختلاف الفاظه سواء كان مصدرا أم فعلا أم غير ذلك، وقد تحكى بلفظها الاصلي بلا تغيير في الاعراب والتقديم والتأخير وما الى ذلك من احوال التعبير، وقد تحكى بمعناها بشرط الوفاء بلفظها المغير اليه بالمعنى المفهوم من الاصل فيجوز التقديم والتأخير او تغير في الاعراب او تغير الضمائر بالشرط المذكور سابقا . والاصل ان يحكى بالقول الكلام المفيد او ما هو بمعناه[٢]، قال سيبويه: (واعلم أن " قلت " في كلام العرب إنما وقعت على أن يُحْكى بها، وإنما يُحْكى بعد القول ما كان كلاماً لا قولاً، نحو: قلتُ: زيدٌ منطلقٌ . ألا ترى أنه يَحسن أن تقول: زيدٌ منطلقٌ، فلما اوقعت " قلت " على ألا يحكى بها الا ما يحسن أن يكون كلاما وذلك قولك: قال زيدٌ: عمرو خيرُ الناس. وتصديق ذلك قوله عز وجل: (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك)، ولولا ذلك لقال: (أَنّ الله))[٣] ومن خلال هذا النص يتبين لنا (انه يحكى بعد القول ما أفاد من العبارات ولا يحكى به غير المفيد فان الكلام عند النحويين يقع على المفيد خاصة ولا يقع على غير المفيد)[٤] . ومن أحوال القول أي: فعل القول وما تصرف منه نحو: قال ويقول وقائل وما الى ذلك . وبالمقول أي: الجملة المحكية بعده . منها: أن يذكر القول والمقول وهو الاصل[٥]، وذلك نحو قوله تعالى): وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) فذكر فعل القول وهو(وَقَالُوا) وذكر المقول بعده وهو قوله: (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا . . الخ) جمع الله تعالى بهذين اللَّفظين كلَّ ما يتعلَّق بأحوال التَّكاليف علماً وعملاً، وقدم السماع على الطاعة إذ السماع أعم من الطاعة فالإنسان كثيرا ما يسمع وقد يمتثل او لا يمتثل، ومن ناحية اخرى فان هذا التقديم يدل على بلوغ الدعوة وأن الرسول –ﷺ– قد بلغهم ودعاهم الى الحق سبحانه وان التلقي منه تعالى في كل أمر قال الالوسي: (وتقديم ذكر السمع على الطاعة لتقدم العام على الخاص، أو لأن التكليف طريقه السمع والطاعة بعده)[٦] وَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ قَائِلًا هَذَا دَهْرَهَ كله، فالسمع لكل ما جاءهم من عند الله، والطاعة لكل ما أمر به الله، فان سماعهم القول كان سماع تدبر وفهم وطاعتهم لما فيه من الأوامر والنواهي كانت طاعة إذعان وانقياد، وهذا مما يبعث النفس إلى العمل به إلا إذا عرض لها مانع يمنعها منه. وكذا نلحظ ان

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل: ٤/ ٥٢٦ .
(٢) ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، د. فاضل صالح السامرائي: ٢٣٣ وما بعدها .
(٣) الكتاب، سيبويه: ١/ ٦٢ .
(٤) الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ٢٣٥ .
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣٦–٢٣٧ .
(٦) روح المعاني: ٦٦/٢.

هذين الفعلين جاءا بصيغة الجمع دون المفرد مع العلم بان هذه الجملة القرآنية (وَقالُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا) معطوفة على قوله: (آمَنَ) وذلك نَظَرًا إِلَى جَانِبِ الْمَعْنَى ((وَقالُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا) هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: (آمَنَ) وَهُوَ وَإِنْ كَانَ لِلْمُفْرَدِ وَهَذَا لِلْجَمَاعَةِ فَهُوَ جَائِزٌ نَظَرًا إِلَى جَانِبِ الْمَعْنَى، أَيْ: أَدْرَكْنَاهُ بِأَسْمَاعِنَا، وَفَهْمِنَاهُ، وَأَطَعْنَا مَا فِيهِ)[١].

ومما يثير الانتباه ويبعث على التفكير مجيء الفعلين (سَمِعْنا وَأَطَعْنا) بلفظ الْمَاضِي، دُونَ الْمُضَارِعِ فان العلماء قد وقفوا على معان نافعة ومهمة بخصوص هذا العدول منها دلالته على الرُسُوخِ والتأكيد قال ابن عاشور: (وَإِنَّمَا جِيءَ بِلَفْظِ الْمَاضِي، دُونَ الْمُضَارِعِ، لِيَدُلُّوا عَلَى رُسُوخِ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا إِنْشَاءَ الْقَبُولِ وَالرِّضَا، وَصِيَغُ الْعُقُودِ وَنَحْوِهَا تَقَعُ بِلَفْظِ الْمَاضِي نَحْوَ بِعْتُ)[٢]، ولم يكونوا ممن قالوا سمعنا وعصينا (كما جرى لبني إسرائيل ضد ذلك من ذمهم وتحميلهم المشقات من المذلة والمسكنة والجلاء إذ قالوا سمعنا وعصينا، وهذه ثمرة العصيان والتمرد على الله عاذنا الله من نقمه)[٣] . ونلحظ ان الفعلين (سَمِعْنا وَأَطَعْنا) جاءا بحذف المفعول، وهذا مما يجعل النفس تذهب كل مذهب في تصور المحذوف، وقد بين بعض جماليات أسلوب الحذف ودقيق أسراره عَبْدُ القاهر الجرجاني فقال: (هو بابٌ دقيقُ المَسْلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأَمر، شبيهٌ بالسِّحْر، فإنكَ ترى به تَرْكَ الذِكْر، أَفْصَحَ من الذكْرِ، والصمتَ عن الإفادةِ، أَزْيَدَ للإفادة، وتَجدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنْطِقْ، وأَتمَّ ما تكونُ بياناً إذا لم تبن)[٤]، وحذف المفعول في هذا الباب ظاهراً وتقديراً أولى، ليدل على أنَّه ليس في الوجود قول يجب سمعه إلاَّ قوله، وليس في الوجود أمر يقال في مقابلته أطعنا إلاَّ أمره، فكان حذف المفعول صورةً ومعنًى في هذا الموضع أولى، وهذا مدح يقتضي الحض على هذه المقالة وأن يكون المؤمن يمتثلها غابر الدهر، والطاعة قبول الأوامر، قال الرازي إنَّ (حَذْفَ الْمَفْعُولِ فِيهِ ظَاهِرًا وَتَقْدِيرًا أَوْلَى لِأَنَّكَ إِذَا جَعَلْتَ التَّقْدِيرَ: سَمِعْنَا قوله، وأطعنا أمره، فإذن هاهنا قَوْلٌ آخَرُ غَيْرُ قَوْلِهِ، وَأَمْرٌ آخَرُ يُطَاعُ سِوَى أَمْرِهِ، فَإِذَا لَمْ يُقَدَّرْ فِيهِ ذَلِكَ الْمَفْعُولُ أَفَادَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ قَوْلٌ يَجِبُ سَمْعُهُ إِلَّا قَوْلَهُ وَلَيْسَ فِي الْوُجُودِ أَمْرٌ يُقَالُ فِي مُقَابَلَتِهِ: أَطَعْنَا إِلَّا أَمْرَهُ فَكَانَ حَذْفُ الْمَفْعُولِ صُورَةً وَمَعْنًى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَوْلَى) [٥] .

---

(١) فتح القدير، الشوكاني: ١/ ٣٥٣ .

(٢) التحرير والتنوير: ٣/ ١٣٤ .

(٣) المحرر الوجيز: ١/ ٣٩١ .

(٤) دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٤٦ .

(٥) مفاتيح الغيب: ٧/ ١١٣ .

أمّا الآية الثانية فقد كان نصيبها من هذه الأفعال أكثر من الآية الأولى وبشكل واضح إذ بلغ (١٣) ثلاثة عشر فعلا موزعة على الصيغ الثلاث، فقد كان لصيغة الماضي منها (٥) خمسة أفعال هي (كسب- اكتسب - نسي - أخطأ - حَمَلَ)، في حين احتوت كل من صيغة المضارع والأمر على (٤) أربعة أفعال فألفاظ المضارع هي (يُكلِّف - تُؤاخذ - تَحْمِل - تُحَمِّل)، وألفاظ الأمر هي (اعف - اغفر - ارحم - انصر). وسندرس هذه الأفعال حسب ورودها في هذه الآية الكريمة كما سبق ذلك، ونلحظ أن الأفعال الماضية والمضارعة اتت متناوبة مع بعضها البعض الى حد ما، في حين انحصر ذكر أفعال الأمر في نهاية هذه الآية الكريمة .

ابتدأت الآية الكريمة بذكر أول هذه الافعال وهو (يُكَلِّفُ) ضمن قوله تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) والتَّكليف: هو إلزام ما فيه كلفة ومشقَّة، يقال: كلَّفته فتكلَّف، وَتَكَلَّفْتُ الْأَمْرَ تَجَشَّمْتُهُ [١]. وهو من الافعال المتعدية الى مفعولين، قال ابن عطية: (يُكَلِّفُ يتعدَّى إلى مفعولين، أحدهما محذوفٌ، تقديره: عبادةً أو شيئاً)[٢] . وناقشه أبو حيان في قوله عن المفعول الثاني لـ(يكلف) بِأَنَّهُ مَحْذُوفٌ فذكر إِنْ كان قصده أَنَّهُ مَحْذُوفٌ فِي الصِّنَاعَةِ، فَلَيْسَ كَذَلِكَ، فقال: (إن عنى أن أصله كذا، فهو صحيح، لأن قوله: إلا وسعها، استثناء مفرغ من المفعول الثاني، وإن عنى أنه محذوف في الصناعة، فليس كذلك. بل الثاني هو وسعها، نحو: ما أعطيت زيدا إلا درهما، ونحو: ما ضربت إلا زيدا)[٣]. واستعمل الفعل المضارع في مكانه المناسب –وكل استعمال القرآن الكريم دقيق ومناسب– فان دلالة هذه الصيغة على الحال والاستقبال، فهذا اخبار من الله تعالى ومن رحمته بعباده انه سيخفف عنهم مشقة التكليف، ولم يكلف عباده إلا ما يطيقون، وييسر لهم فضلا منه ورحمة. وَفَائِدَة مضمون هذه الجملة القرآنية هو (إِظْهَارُ ثَمَرَةِ الْإِيمَانِ، وَالتَّسْلِيمِ، وَالطَّاعَةِ، فَأَعْلَمَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا الدِّينِ التَّكْلِيفَ بِمَا فِيهِ مَشَقَّةٌ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ تَبْشِيرٌ بِاسْتِجَابَةِ دَعْوَتِهِمُ الْمُلَقَّنَةِ، أَوِ الَّتِي أُلْهِمُوهَا: وَهِيَ رَبَّنا لَا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا– إِلَى قَوْلِهِ– مَا لَا طاقَةَ لَنا بِهِ قَبْلَ أَنْ يَحْكِيَ دَعَوَاتِهِمْ تِلْكَ)[٤] .

وقوله تعالى: (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) هذه الجملة القرآنية احتوت على فعلين ماضيين هما (كَسَبَ) و(اكْتَسَبَ)، ومعنى (كسب) طلب الرزق، قال الجوهري: (الكَسْبُ: طلب الرزق.

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٩/ ٣٠٧ .
(٢) المحرر الوجيز: ١/ ٣٩٣ .
(٣) البحر المحيط، ابو حيان: ٢/ ٧٦٠- ٧٦١ .
(٤) التحرير والتنوير: ٣/ ١٣٤ .

وأصله الجمع، تقول منه: كَسَبْتُ شيئاً واكْتسبْته بمعنًى)[١]. واخْتَلَفُ العلماء فِي أَنَّهُ هَلْ فِي اللُّغَةِ فَرْقٌ بَيْنَ (كَسَبَ) و(اكْتَسَبَ):

يرى بعض العلماء أنَّ الكسب والاكتساب واحدٌ لا فرق بينهما، وَالْقُرْآنَ نَاطِقٌ بِذَلِكَ. قَالَ تَعَالَى: (كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) (المدثر: ٣٨)، وَقَالَ: (وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْها) (الأنعام: ١٦٤) . وغيرها من الشواهد على ذلك، فَدَلَّ هَذَا عَلَى إِقَامَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ مَقَامَ الْآخَرِ[٢] .

وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّقَ بينهما لأَن معنى " كسب " دون معنى " اكْتسب " لما فِيهِ من الزِّيَادَة في عدد الاحرف، قال سيبويه: (وأما كسب فإنه يقول أصاب، وأما اكتسب فهو التصرف والطلب. والاجتهاد بمنزلة الاضطراب.)[٣]، وذكر ابن جني في باب (قوة اللفظ لقوة المعنى) تأويلا لهذين الفعلين ضمن قوله تعالى: (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) أنَّ (كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير ومستصغر. وذلك لقوله–عز اسمه:(مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا)(الأنعام:١٦)؛ أفلا ترى أن الحسنة تصغر بإضافتها إلى جزائها، صغر الواحد إلى العشرة ولما كان جزاء السيئة إنما هو بمثلها، لم تحتقر إلى الجزاء عنها، فعلم بذلك قوة فعل السيئة على فعل الحسنة؛ ولذلك قال–تبارك وتعالى: (تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا)(مريم:٩٠–٩١). فإذا كان فعل السيئة ذاهبا بصاحبه إلى هذه الغاية البعيدة المترامية، عظم قدرها، وفخم لفظ العبارة عنها، فقيل: لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت. فزيد في لفظ فعل السيئة، وانتقص من لفظ فعل الحسنة؛ لما ذكرنا)[٤]. ومنهم من يرى أن الِاكْتِسَابَ أَخَصُّ مِنَ الْكَسْبِ، لأَنَّ (الْكَسْبَ يَنْقَسِمُ إِلَى كَسْبِهِ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ، وَالِاكْتِسَابُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَا يَكْتَسِبُ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ خَاصَّةً يُقَالُ فُلَانٌ كَاسِبٌ لِأَهْلِهِ، وَلَا يُقَالُ مُكْتَسِبٌ لِأَهْلِهِ)[٥]. ويرى الزَّمَخْشَرِي أَنَّ الشَّرَّ وَالسَّيِّئَاتَ فِيهَا اعْتِمَالٌ، من اعتمل أي عمل بنفسه وأعمل رأيه وآلته وسَبَبَ الاعتمال هُوَ اشْتِهَاءُ النَّفْسِ وَانْجِذَابُهَا إِلَى مَا تُرِيدُهُ فقال: (إن قلت: لم خص الخير بالكسب، والشر بالاكتساب؟ قلت: في الاكتساب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه وأمّارة به، كانت في تحصيله أعمل وأجدّ، فجعلت لذلك

(١) الصحاح، الجوهري: ١/ ٢١٢ .
(٢) ينظر: البحر المحيط: ٢/ ٧٦١، والدر المصون: ٢/ ٧٠٠ .
(٣) الكتاب: ٤/ ٧٤ .
(٤) الخصائص، ابن جني: ٣/ ٢٦٥ .
(٥) مفاتيح الغيب: ٧/ ١١٨ .

مكتسبة فيه. ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال)[١] . في حين نلحظ أنَّ ابن عطيَّة يرى سَبَبَ ذَلِكَ هُوَ أَنَّهُ مُتَكَلِّفٌ، خَرَقَ حِجَابَ نَهْيِ اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ لَا يَأْتِي الْمَعْصِيَةَ إِلَّا بِتَكَلُّفٍ فقال: (وكرر فعل الكسب فخالف بين التصريف حسنا لنمط الكلام. كما قال (فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً) [الطلاق: ١٧] هذا وجه، والذي يظهر لي في هذا أن الحسنات هي مما يكسب دون تكلف، إذ كاسبها على جادة أمر الله ورسم شرعه، والسيئات تكتسب ببناء المبالغة إذ كاسبها يتكلف في أمرها خرق حجاب نهي الله تعالى ويتخطاه إليها، فيحسن في الآية مجيء التصريفين إحرازا لهذا المعنى)[٢]، وفعلُ السيئة شديدٌ لِما فيه من شدَّة تكلف ولِما يَؤُول إليه فجيء بما يدل على ذلك (افْتَعَلَ) بخلاف (فَعَلَ) الذي يكون خاليا من هذا الافتعال و(ابْتُدِئَ أَوَّلًا بِالْمَشْهُورِ الْكَثِيرِ، ثُمَّ أُعِيدَ بمطاوعة، وَقَدْ تَكُونُ، فِي اخْتِيَارِ الْفِعْلِ الَّذِي أَصْلُهُ دَالٌّ عَلَى الْمُطَاوَعَةِ، إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الشُّرُورَ يَأْمُرُ بِهَا الشَّيْطَانُ، فَتَأْتَمِرُ النَّفْسُ وَتُطَاوِعُهُ وَذَلِكَ تَبْغِيضٌ مِنَ اللَّهِ لِلنَّاسِ فِي الذُّنُوبِ. وَاخْتِيرَ الْفِعْلُ الدَّالُّ عَلَى اخْتِيَارِ النَّفْسِ لِلْحَسَنَاتِ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ اللَّهَ يَسُوقُ إِلَيْهَا النَّاسَ بِالْفِطْرَةِ)[٣]، فصاحب الشر يفتعل الشر إذ تتشهّاه النفس وتجنح إليه بالطبع بخلاف الخير فإنه يهبط على النفس كما يهبط الفيض من آلاء الله، وكما يشرق اليقين في النفس. إشراقا، أما صاحب الخير فإن أفعاله سهلة لا افتعال فيها[٤]، فالشر هو الذي يحتاج إلى افتعال (فقول الحق: (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكتسبت) يوضح لنا أن فعل الشر هو الذي يحتاج إلى مجهود، فإن انتقلت المسألة من اكتسبت إلى كسبت فهذه هي الطامة الكبرى، ويكون قد أحاطت به خطيئته. ويكون على كل نفس ما اكتسبت. والعاقل هو من يكثر ما لنفسه، ولا ما عليها؛ لأن الذي يقول ذلك هو الحق العالم المالك الذي إليه المصير، فليس من هذا الأمر فِكاك)[٥] .

وقوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) قوله: (لاَ تُؤَاخِذْنَا) فَالْمُؤَاخَذَةُ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْأَخْذِ بِمَعْنَى الْعُقُوبَةِ، كَقَوْلِهِ تعالى: (وَكَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَهِيَ ظالِمَةٌ (هود: ١٠٢)، قال العكبري: ((لا تُؤَاخِذْنَا): يُقْرَأُ بِالْهَمْزَةِ وَالتَّخْفِيفِ، وَالْمَاضِي آخَذْتُهُ، وَهُوَ مِنَ الْأَخْذِ بِالذَّنْبِ، وَحُكِيَ: وَاخَذْتُهُ بِالْوَاوِ)[٦]. وعلى قراءة التَّخْفِيفِ يكون بمعنى الأَخْذِ أيضاً، قال السمين الحلبي:

---

(١) الكشاف: ١/ ٣٣٢ .
(٢) المحرر الوجيز: ١/ ٣٩٣ .
(٣) التحرير والتنوير: ٣/ ١٣٧- ١٣٨ .
(٤) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش: ١/ ٤٥١.
(٥) تفسير الشعراوي، الشعراوي: ٢/ ١٢٤٥ .
(٦) التبيان في إعراب القرآن، العكبري: ١/ ٢٣٤ .

(قوله: (لاَ تُؤَاخِذْنَا) يُقْرأ بالهمزةِ وهو من الأخْذ بالذَّنْبِ، ويُقْرَأُ بالواوِ، ويَحْتمل وجهين، أحدُهما: أَنْ يكونَ مِن الأخْذِ أيضاً، وإنما أُبْدِلَتِ الهمزةُ واوًا لفتحِها وانضمامِ ما قبلها، وهو تخفيفٌ قياسي، ويَحْتمل أَنْ يكونَ من: واخذه بالواو)[١]. وَصيغة (فَاعِل) هُنَا بمعنى الفعل المجرد، نحو: أَخَذَ، لِقَوْلِهِ: فَكُلًّا أَخَذْنا بِذَنْبِهِ وَهُوَ أَحَدُ الْمَعَانِي الَّتِي جَاءَتْ لَهَا (فَاعِلٌ)، وعلى هذا يكونَ من بابِ: سافرت وعاقبت وطارقت، وتكون الْمُفَاعَلَةُ فِيهِ لِلْمُبَالَغَةِ وهي من بالغ مبالغة اجتهد ولم يقصر، بمعنى: لَا تَأْخُذْنَا بِالنِّسْيَانِ وَالْخَطَأِ . ويرى بعض العلماء أنه جَاءَ بِلَفْظِ الْمُفَاعَلَةِ وَهُوَ فِعْلٌ وَاحِدٌ لِأَنَّ الْمُسِيءَ قَدْ أَمْكَنَ مِنْ نَفْسِهِ، وطَرَقَ السبيلَ إليها بفعله، فكأنه أعانَ مَنْ يعاقِبُه بذَنْبِه، ويأخذُ به على نفسِه فَحَسُنَتْ المفاعَلَةُ، قال الرازي: ((لَا تُؤَاخِذْنَا) أَي: لَا تُعَاقِبْنَا، وَإِنَّمَا جَاءَ بِلَفْظِ الْمُفَاعَلَةِ وَهُوَ فِعْلٌ وَاحِدٌ، لِأَنَّ النَّاسِيَ قَدْ أَمْكَنَ مِنْ نَفْسِهِ، وَطَرَقَ السَّبِيلَ إِلَيْهَا بِفِعْلِهِ، فَصَارَ مَنْ يُعَاقِبُهُ بِذَنْبِهِ كَالْمُعِينِ لِنَفْسِهِ فِي إِيذَاءِ نَفْسِهِ)[٢]، وهناك وَجْهٌ آخر للمفاعلة التي على بابها يراه الرازي فقال: (وَعِنْدِي فِيهِ وَجْهٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ يَأْخُذُ الْمُذْنِبَ بِالْعُقُوبَةِ، فَالْمُذْنِبُ كَأَنَّهُ يَأْخُذُ رَبَّهُ بِالْمُطَالَبَةِ بِالْعَفْوِ وَالْكَرَمِ، فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ مَنْ يُخَلِّصُهُ مِنْ عَذَابِهِ إِلَّا هُوَ، فَلِهَذَا يَتَمَسَّكُ الْعَبْدُ عِنْدَ الْخَوْفِ مِنْهُ بِهِ، فَلَمَّا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَأْخُذُ الْآخَرَ عَبَّرَ عَنْهُ بِلَفْظِ الْمُؤَاخَذَةِ)[٣] .

وقوله: (إِن نَّسِينَآ أَو أَخْطَأْنَا) فالفعل (نسي) مأخوذ من النسيان، قال الراغب: (النِّسيان: تَرْكُ الإنسان ضَبْطَ ما اسْتُودِعَ، إمّا لضَعْف قَلْبه، وإمّا عن غَفْلةٍ، وإمّا عن قَصْد حتى يرتفع عن القَلْبِ ذِكْرُه. نَسِيتُه نِسْياناً وتَناسَيْتُه، وأَنْسانِيه شَيْطانٌ ونَسّانِيه، قال تعالى: (فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْما))[٤]. ولهذا ذكر العلماء ان النِّسيان وجهان: الأول: أنَّ المراد النِّسيان الذي هو ضدُّ الذِّكر وهو معفو عنه. أو يراد به الترك، قال الله تعالى: (نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ) (التوبة: ٦٧)، أي: تركوا العمل لله فترك أن يثيبهم[٥] . قال ابن عطية: (اختلف الناس في معنى قوله (نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا) فذهب الطبري وغيره إلى أنه النسيان بمعنى الترك، أي إن تركنا شيئا من طاعتك وأنه الخطأ المقصود. قالوا وأما النسيان الذي يغلب المرء والخطأ الذي هو عن اجتهاد فهو موضوع عن المرء، فليس بمأمور في الدعاء بأن لا يؤاخذ به، وذهب كثير من العلماء إلى أن الدعاء في هذه الآية إنما هو في النسيان الغالب والخطأ غير المقصود، وهذا هو الصحيح عندي)[٦] .

---

(١) الدر المصون، السمين الحلبي: ٢/ ٧٠١ .

(٢) مفاتيح الغيب: ٧/ ١١٩ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهاني: ٤٩١ .

(٥) ينظر: جامع البيان، الطبري: ٦/ ١٣٣ .

(٦) المحرر الوجيز: ١/ ٣٩٤ .

وقوله (أَوْ أَخْطَأْنَا) الفعل (أَخْطَأَ) يأتي بمعنى العمد لا من جهة السهو، يقال: أخطأ الرجل: إذا تعمد، كما يقال: أخطأ إذا أغفل، قال الفيروزآبادى: (وقد يقال لمن فعل فعلاً لا يَحْسُنُ، أَو أَراد إرادة لا تجْمُل: إنه أَخطأَ)[١]، وقيل في معنى الآية: (لا تعاقبنا إن تركنا أمرك أو اكتسبنا خطيئة. على أن يكون النسيان بمعنى الترك. والخطأ من الخطيئة. وعليه فلا إيراد، والله أعلم)[٢]. ونلحظ أن هذه الافعال جاءت بلفظ الجمع دون الافراد فقد بين العلماء دلالة وفائدة ذلك منهم بن عادل فقال في تفسيره: (فإن قيل: ما الفائدة في حكاية هذه الأدعية بلفظ الجمع في قوله: (رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الذين مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ)، ولفظ الإفراد أكثر تذلُّلاً وخضوعاً من التَّلفُّظ بنون الجمع. فالجواب: أن قبول الدُّعاء عند الاجتماع أكثر، وذلك لأن للهمم تأثيراتٍ، فإذا اجتمعت الأرواح والدَّواعي على شيء واحدٍ، كان حصوله أكمل)[٣] .

وقوله تعالى: (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ) فقد استعمل في هذه الآية الكريمة الفعل المضارع (تَحْمِل) وبالتشديد (تُحَمِّل) والماضي (حَمَل). ومعنى الحمل هو إقلال الشيء، قال ابن فارس: ((حَمَلَ) الْحَاءُ وَالْمِيمُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى إِقْلَالِ الشَّيْءِ. يُقَالُ حَمَلْتُ الشَّيْءَ أَحْمِلُهُ حَمْلًا) [٤] . وقد استعمل (الحَمْلُ) مجازا في الآية الكريمة ليدل على التَّكْلِيفِ بِأَمْرٍ شَدِيدٍ يَثْقُلُ عَلَى النَّفْسِ، وَهُوَ مُنَاسِبٌ لِاسْتِعَارَةِ الْإِصْرِ[٥] .

وعبر في الموطن الاول من هذه الآية الكريمة بالحمل، فقال (لَا تَحْمِلْ)، وفي الموطن الآخر من هذه الآية بالتَّحميل فقال (وَلَا تُحَمِّلْنَا) وهذا فيه دلالة على انه يمكن التكليف بالشاق، فَالْحَمْلُ وَالتَّحْمِيلُ يُمْكِنَانِ فِيهِ مثلما حدث لأهل الكتاب من قبل فإنَّ (اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً، وَأَمَرَهُمْ بِأَدَاءِ رُبُعِ أَمْوَالِهِمْ فِي الزَّكَاةِ، وَمَنْ أَصَابَ ثَوْبَهُ نَجَاسَةٌ أُمِرَ بِقَطْعِهَا، وَكَانُوا إِذَا نَسُوا شَيْئًا عُجِّلَتْ لَهُمُ الْعُقُوبَةُ فِي الدُّنْيَا، وَكَانُوا إِذَا أَتَوْا بِخَطِيئَةٍ حُرِّمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الطَّعَامِ بَعْضُ مَا كَانَ حَلَالًا لَهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ) (النِّسَاءِ: ١٦٠))[٦] أما الذي لايطاق فعبر عنه بـ(التحميل) فقط دون (الْحَمْلُ) لأنه غَيْرُ مُمْكِنٍ، قال الرازي: (لِمَ قَالَ في

---

(١) بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادى: ٢/ ٥٥١ .
(٢) محاسن التأويل، القاسمي: ٢/ ٢٤٤ .
(٣) اللباب في علوم الكتاب: ٤/ ٥٤٠ .
(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس: ٢/ ١٠٦ .
(٥) التحرير والتنوير: ٣/ ١٤٠ .
(٦) مفاتيح الغيب: ٧/ ١٢١ .

الآية الأولى (لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً) وَقَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ (لا تُحَمِّلْنا) خَصَّ ذَلِكَ بِـ(الحَمْلِ) وَهَذَا بِـ(التَّحْمِيلِ) ؟

الجَوَابُ: أَنَّ الشَّاقَّ يُمْكِنُ حَمْلُهُ أَمَّا مَا لَا يَكُونُ مَقْدُورًا لَا يُمْكِنُ حَمْلُهُ، فَالحَاصِلُ فِيمَا لَا يُطَاقُ هُوَ التَّحْمِيلُ فَقَطْ أَمَّا الحَمْلُ فَغَيْرُ مُمْكِنٍ وَأَمَّا الشَّاقُّ فَالحَمْلُ وَالتَّحْمِيلُ يُمْكِنَانِ فِيهِ، فَلِهَذَا السَّبَبِ خَصَّ الآيَةَ الأَخِيرَةَ بِالتَّحْمِيلِ)[١]، وكذلك من خصائص الآية الأَخِيرَةَ بالفعل المضعف (تحملنا) دون الأولى لأن (الإصر نفسه والتعبير بعلى فيهما بيان شدة الاختبار، فلا حاجة إلى مبالغة في صيغة الحمل ؟ أما هنا فالاختبار بما هو في الطاقة وإن كانت المشقة شديدة، فكان ثمة متسع في المبالغة في الصيغة)[٢] . وأتى في هذا المقام بصيغة (التفعيل لما فيه بما يفهم من العلاج من مناسبة التكليف بما لا يطاق)[٣] .

واستعملت الآية الكريمة (لا تُحَمِّلْنا) بدل (لَا تُكَلِّفْنَا) لان الاستعمال الاول يدل على الحقيقة إذ التَّحْمِيلُ هُوَ أَنْ يَضَعَ عَلَيْهِ مَا لَا طَاقَةَ له بِتَحَمُّلِهِ فَيَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ الْعَذَابَ في حين لو حَمَلْنَاهُ عَلَى التَّكْلِيفِ كان قوله (لا تُحَمِّلْنا) مَجَازًا فِيهِ، فَكَانَ الْأَوَّلُ أَوْلَى، قال الرازي: إنَّ الله تبارك وتَعَالَى (لَمْ يَقُلْ: لَا تُكَلِّفْنَا مَا لَا طَاقَةَ لنا به، بل قال: لا تُحَمِّلْنا مَا لَا طاقَةَ لَنا بِهِ وَالتَّحْمِيلُ هُوَ أَنْ يَضَعَ عَلَيْهِ مَا لَا طَاقَةَ له بِتَحَمُّلِهِ فَيَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ الْعَذَابَ وَالْمَعْنَى لَا تُحَمِّلْنَا عَذَابَكَ الَّذِي لَا نُطِيقُ احْتِمَالَهُ فَلَوْ حَمَلْنَا الْآيَةَ عَلَى ذَلِكَ كان قوله لا تُحَمِّلْنا حَقِيقَةً فِيهِ وَلَوْ حَمَلْنَاهُ عَلَى التَّكْلِيفِ كان قوله لا تُحَمِّلْنا مَجَازًا فِيهِ، فَكَانَ الْأَوَّلُ أَوْلَى)[٤] .

وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ فِي قَوْلِهِ: (وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً) قرأها – ولا تحمّل– بالتشديد للمبالغة، والتَّكْثِيرِ فِي حَمَّلَ: كَجَرَحْتُ زَيْدًا وَجَرَّحْتُهُ[٥]، فهل هناك فرق بين هذه القراءة بالتشديد وقوله تعالى: (وَلَا تُحَمِّلْنَا ما لا طاقة لنا به) كذلك بالتَّشْدِيدُ ؟ أفاد التضعيف في القراءة الاولى المبالغة والتكثير، وفي الثانية لتعدية الفعل(لَا تُحَمِّلْنَا) إلى المفعول الثاني، قال الزمخشري: (وفي قراءة أبىّ: ولا تحمّل علينا بالتشديد. فإن قلت: أي فرق بين هذه التشديدة والتي في: وَلا تُحَمِّلْنا ؟ قلت: هذه للمبالغة في حمل عليه، وتلك لنقل حمله من مفعول واحد إلى مفعولين)[٦] يعني أنَّ (التضعيفَ في الأولِ للمبالغةِ ولذلك لم يتعدَّ إلا لمفعولٍ واحدٍ، وفي الثانيةِ للتعدية، ولذلك تعدَّى

(١) مفاتيح الغيب: ٧/ ١٢٣.
(٢) زهرة التفاسير، أبو زهرة: ١٠٩٤ .
(٣) نظم الدرر: ٤/ ١٨٥.
(٤) مفاتيح الغيب: ٧/ ١٢٢ .
(٥) البحر المحيط: ٢/ ٧٦٦ .
(٦) الكشاف: ١/ ٣٣٣ .

إلى اثنين أولُهما(نا) والثاني (مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ))[١] .

وقوله تعالى: (وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) احتوت هذه الآية الكريمة على اربعة أفعال أمر هي (اعْفُ – اغْفِرْ – ارْحَمْ – انْصُرْ) .

فالفعل (اعْفُ) مأخوذ من (عفو) بمعنى: تَرْكِ الشَّيْءِ، أي: تَرْكُ الله عقابهم، قال ابن فارس: ((عَفَو) الْعَيْنُ وَالْفَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلَانِ يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى تَرْكِ الشَّيْءِ، وَالْآخَرُ عَلَى طَلَبِهِ. ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فُرُوعٌ كَثِيرَةٌ لَا تَتَفَاوَتُ فِي الْمَعْنَى. فَالْأَوَّلُ: الْعَفْوُ: عَفْوُ اللَّهِ – تَعَالَى – عَنْ خَلْقِهِ، وَذَلِكَ تَرْكُهُ إِيَّاهُمْ فَلَا يُعَاقِبُهُمْ، فَضْلًا مِنْهُ)[٢]، فَإِنَّ الْعَفْوَ أَصْلٌ لِعَدَمِ الْمُؤَاخَذَةِ فـ(العَفْو: عَفْو الله عن خَلْقه، والصفح، وترك عقوبة المستحِقّ. عفا عنه ذنبَهُ، وعفا له ذنبه، وعفا عن ذنبه)[٣].

والفعل (اغْفِرْ) مأخوذ من (غَفَرَ) بمعنى: السَّتْرُ، قال ابن فارس: ((غَفَرَ) الْغَيْنُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ عُظْمُ بَابِهِ السَّتْرُ، ثُمَّ يَشِذُّ عَنْهُ مَا يُذْكَرُ. فَالْغَفْرُ: السَّتْرُ. وَالْغُفْرَانُ وَالْغَفْرُ بِمَعْنًى. يُقَالُ: غَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَهُ غَفْرًا وَمَغْفِرَةً وَغُفْرَانًا) [٤]، والمغفرة من الله هو أن يحفظ العبد من أن يمسه العذاب، ويستر عليه جرمه صوناً له من عذاب التَّخجيل والفضيحة، قال الراغب: (غفر: الغفر إلباس ما يصونه عن الدنس ومنه قيل اغفر ثوبك في الوعاء واصبغ ثوبك فإنه أغفر للوسخ، والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب)[٥] .

والفعل (ارْحَمْ) مأخوذ من (رَحِمَ) بمعنى: الرِّقَّةِ وَالْعَطْفِ وَالرَّأْفَةِ، قال ابن فارس: ((رَحِمَ) الرَّاءُ وَالْحَاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الرِّقَّةِ وَالْعَطْفِ وَالرَّأْفَةِ. يُقَالُ مِنْ ذَلِكَ رَحِمَهُ يَرْحَمُهُ، إِذَا رَقَّ لَهُ وَتَعَطَّفَ عَلَيْهِ)[٦]، وَالرَّحْمَةَ أَصْلٌ لِعَدَمِ الْعُقُوبَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ، وإذا وُصف به البارئ تعالى فليس يراد به إلاَّ الإحسان المجرّد دون الرقَّة، قال الفيروزآبادى: (الرّحمة: رِقَّةٌ تقتضى الإحسان للمرحوم وقد تُستعمل تارة في الرقّة المجرّدة، وتارة في الإحسان المجرّد عن الرقَّة، نحو: رحم الله فلانًا. وإذا وُصف به البارئ تعالى فليس يراد به إلاَّ الإحسان المجرّد دون الرقَّة. وعلى هذا رُوى أَنَّ الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميّين. رقَّة وتعطُّف) [٧] ومع تقارب معاني هذه الالفاظ الالفاظ الا ان العلماء تكلموا عن بعض الفروق بينها فالعفو ترك المؤاخذة بالذنب واسقاط الْعِقَابَ

(١) الدر المصون: ٢/ ٧٠١ .
(٢) مقاييس اللغة: ٤/ ٥٦ – ٥٧ .
(٣) بصائر ذوي التمييز: ٤/ ٨٠ .
(٤) مقاييس اللغة: ٤/ ٣٨٥ .
(٥) مفردات غريب القرآن: ٣٦٢ .
(٦) مقاييس اللغة: ٢/ ٤٩٨ .
(٧) بصائر ذوي التمييز: ٣/ ٥٣ .

عَنْهُ، والمغفرة تقتضي مع ذلك الستر عَلَيْهِ صَوْنًا لَهُ مِنْ عَذَابِ التَّخْجِيلِ وَالْفَضِيحَةِ، والرحمة تجمع ذلك مع التفضل بالإنعام، فَالثَّانِي أَبْلَغُ مِنَ الْأَوَّلِ، وَالثَّالِثُ أبلغ من الثَّانِي، فقد ذكر ابو حيان أن المؤمنين طَلَبُوا (الْعَفْوَ وَهُوَ الصَّفْحُ عَنِ الذَّنْبِ: وَإِسْقَاطُ الْعِقَابِ، ثُمَّ سَتْرُهُ عَلَيْهِمْ صَوْنًا لَهُمْ مِنْ عَذَابِ التَّخْجِيلِ، لِأَنَّ الْعَفْوَ عَنِ الشَّيْءِ لَا يَقْتَضِي سَتْرَهُ فَيُقَالُ: عَفَا عَنْهُ إِذَا وَقَّفَهُ عَلَى الذَّنْبِ ثُمَّ أَسْقَطَ عَنْهُ عُقُوبَةَ ذَلِكَ الذَّنْبِ، فَسَأَلُوا الْإِسْقَاطَ لِلْعُقُوبَةِ أَوَّلًا لِأَنَّهُ الْأَهَمُّ، إِذْ فِيهِ التَّعْذِيبُ الْجُسْمَانِيُّ وَالنَّعِيمُ الرُّوحَانِيُّ بِتَجَلِّي الْبَارِئِ تَعَالَى لَهُمْ. وَقَالَ الرَّاغِبُ: الْعَفْوُ إِزَالَةُ الذَّنْبِ بِتَرْكِ عُقُوبَتِهِ، وَالْغُفْرَانُ سَتْرُ الذَّنْبِ وَإِظْهَارُ الْإِحْسَانِ بَدَلَهُ، فَكَأَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ تَغْطِيَةِ ذَنْبِهِ، وَكَشْفِ الْإِحْسَانِ الَّذِي غَطَّى بِهِ. وَالرَّحْمَةُ إِفَاضَةُ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، فَالثَّانِي أَبْلَغُ مِنَ الْأَوَّلِ، وَالثَّالِثُ أبلغ من الثَّانِي)[١]، وإنَّما يطيبُ الخلاص من عذاب النَّار (إذا حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة، فلما تخلَّص من هذين العذابين، أقبل على طلب الثَّواب، فقال: (وارحمنا) فإنَّنا لا نقدر على فعل الطَّاعة وترك المعصية إلاَّ برحمتك)[٢] .

والفعل (انْصُرْ) مأخوذ من (نَصَرَ) بمعنى: إِتْيَانِ خَيْرٍ وَإِيتَائِهِ، قال ابن فارس: ((نَصَرَ) النُّونُ وَالصَّادُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِتْيَانِ خَيْرٍ وَإِيتَائِهِ. وَنَصَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ: آتَاهُمُ الظَّفَرَ عَلَى عَدُوِّهِمْ، يَنْصُرُهُمْ نَصْرًا) [٣]. ونُصْرَةُ الله للمؤمنين يعينهم على عدوهم، قال الراغب: (نصر: نصر: النصر والنصرة العون، قال: (نصر من الله) . . . إلى غير ذلك من الآيات، ونصرة الله للعبد ظاهرة، ونصرة العبد لله هو نصرته لعباده والقيام بحفظ حدوده ورعاية عهوده واعتناق أحكامه واجتناب نهيه) [٤] .

ونصر الله للمؤمنين باللسان والسنان وبالحجة والبرهان، فإن من حق المولى أن ينصر مواليه على الأعداء، أو المراد به عامة الكفرة، قال الرازي: (ثُمَّ قَالَ: (فَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ) أَيِ: انْصُرْنَا عَلَيْهِمْ فِي مُحَارَبَتِنَا مَعَهُمْ، وَفِي مُنَاظَرَتِنَا بِالْحُجَّةِ مَعَهُمْ، وَفِي إِعْلَاءِ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ عَلَى دَوْلَتِهِمْ عَلَى مَا قَالَ: (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) (التَّوْبَةِ: ٣٣))[٥] .

---

(١) البحر المحيط: ٢/ ٧٦٦ .
(٢) اللباب في علوم الكتاب: ٤/ ٥٤٢ .
(٣) مقاييس اللغة: ٥/ ٤٣٥ .
(٤) مفردات غريب القرآن: ٤٩٥ .
(٥) مفاتيح الغيب: ٧/ ١٢٥ .

المبحث الثاني: الأسماء أنواعها ودلالاتها

لقد اسهم تنوع الاسماء في خواتيم سورة البقرة اسهاما فاعلا في اثراء النص الشريف، وهذا الامر بين من خلال ورود مجموعة متنوعة من الاسماء، سواء كانت مصادر او ما دل على العموم او اسماء موصولة او ضمائر كما هو مفصل في الجدول (٢) الاتي:

ت	نوع الاسم		الألفاظ •	
			(البقرة: ٢٨٥)	(البقرة: ٢٨٦)
١	الضمائر	المتكلم	نَا(٣)*	نَا(١٥)
		المخاطب		التَاء – أَنْتَ
		الغائب	الهاء(٤)–الواو–الكاف(٢)	هَا(٣) – الهاء(٢)
٢	الجمع		الْمُؤْمِنُون–كُلّ–مَلَائِكَة–كُتُب–رُسُل(٢)	كَافِرِين
٣	المصادر		غُفْرَان– مَصِير	وُسْع– مَوْلى– طَاقَة
٤	الفاظ الجلالة		الله – رَبّ(٢)	الله – رَبّ(٣)
٥	ما دل على العموم		أَحَد	نَفْس– إِصْر– قَوْم
٦	الاسماء الموصولة		مَا	مَا(٤)– الَّذِين
٧	الظرف		بَيْن	قَبْل
٨	العلم		الرَّسُول	
المجموع			١٧	١٧

(٢)جدول يبين نوع والفاظ الاسماء الواردة في خواتيم سورة البقرة:

وسندرس جميع الاسماء الوارد ذكرها في هاتين الآيتين الكريمتين مع بيان وتوضيح اهم المعاني التي سطع ضوؤها ودلت عليه هذه الاسماء، مع ذكر اقوال العلماء في ذلك، وابتدأ بما ابتدأت به الآية الكريمة، وهو لفظ (الرَّسُول) ضمن قوله تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ)، والمراد بـ (الرَّسُول) هو سيدنا مُحَمَّد –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وأل فِي الرَّسُول للعهد، قال ابو حيان: (وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي: الرَّسُولُ، هِيَ لِلْعَهْدِ، وَهُوَ رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ

• رتبت هذه الأسماء حسب الكثرة .

* هذا الرقم لبيان عدد تكرارها .

كَثُرَ فِي الْقُرْآنِ تَسْمِيَتُهُ مِنَ اللَّهِ بِهَذَا الِاسْمِ الشَّرِيفِ) [١]، ولفظ (الرَّسُول) في القرآن الكريم (عَلَمٌ بِالْغَلَبَةِ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَقْتِ النُّزُولِ قَالَ تَعَالَى: (وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ) (التَّوْبَة: ١٣))[٢] . وإنما احتيج الى بيان هذه اللفظة وذلك لعدة أمور منها أن هذه اللفظة وصف لجميع الرسل –عليهم السلام– فلابد من تخصيص حتى يعرف من هو المقصود بذلك، ولأن لفظ(الرَّسُول) له أكثر من دلالة، فضلا عن معنى ودلالة هذا الوزن (فَعول) الذي يستوي فيه المذكَّر والمؤنَّث والواحد والجمع، ففي بعض المواضع يأتي بصيغة الافراد ويراد منه أكثر من واحد، كما في قوله تعالى: (إنَّا رَسولُ ربِّ العالمين) (الشعراء:١٦) وفي ذلك يقول الجوهري: (وأَرْسَلْتُ فلاناً في رِسالةٍ، فهو مُرْسَلٌ ورَسولٌ، والرسول أيضا: الرسالة . ... وقوله تعالى: (إنَّا رَسولُ ربِّ العالمين) ولم يقل: رُسُلُ رَبِّ العالمين، لان فعولا وفعيلا يستوى فيها المذكَّر والمؤنَّث والواحد والجمع، مثل عدوٍّ وصديق)[٣]. ونلحظ انه في القرآن الكريم كثيرا ما يرد ذكر الرسول بدل التصريح باسمه الشريف لاسيما في مثل هذا الموطن لأن في ذلك شهادة من الله تعالى على عمق ايمانه في أمره، قال البيضاوي: ((آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ) شهادة وتنصيص من الله تعالى على صحة إيمانه والاعتداد به، وإنه جازم في أمره غير شاك فيه)[٤] فضلاً عن وصفه بـ(الرَّسُول) فيه (إشارة إلى أنه أكمل الرسل في هذا الوصف باعتبار إرساله إلى جميع الخلائق الذين هم لله سبحانه وتعالى، وأنه الجامع لما تفرق فيهم من الكمال، وأنه المخصوص بما لم يعطه أحد منهم من المزايا والأفضال) [٥]، وكذلك يلاحظ ان هذا الوصف ينبئ عن كونه –صلى ﷺ– صاحبَ كتابٍ مجيد وشرع جديد، قال أبو السعود: (وإيراده ﷺ بعنوان الرسالة المنبئة عن كونه ﷺ صاحبَ كتابٍ مجيد وشرع جديد تمهيدٌ لما يعقُبه) [٦].

وتكلم العلماء عن خصيصة إفراد الرَّسُول –عليه الصَّلاة والسَّلام– بذكر الايمان أولا ثم تلاه ذكر المؤمنين، لأن في مسألة الوحي قد يكون كلاماً متلواً يسمعه الْغَيْرُ ويُؤْمِنَ بِهِ، وَقَدْ يَكُونُ وَحْيًا لَا يَعْلَمُهُ سِوَاهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَيَكُونُ هُوَ مُخْتَصًّا بِالْإِيمَانِ بِهِ، قال الرازي: (دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ آمَنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَإِنَّمَا خُصَّ الرَّسُولُ بِذَلِكَ، لِأَنَّ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ قَدْ يكون كلاماً متلواً يسمعه الْغَيْرُ وَيَعْرِفُهُ

(١) البحر المحيط: ٢/ ٧٥٦ .
(٢) التحرير والتنوير: ٣/ ١٣٢ .
(٣) الصحاح: ٤/ ١٧٠٩ –١٧١٠ .
(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ١/ ١٦٦ .
(٥) نظم الدرر: ٤/ ١٦٨– ١٦٩ .
(٦) ارشاد العقل السليم:١/ ٢٧٣ .

وَيُمْكِنُهُ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ، وَقَدْ يَكُونُ وَحْيًا لَا يَعْلَمُهُ سِوَاهُ، فَيَكُونُ هُوَ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مُخْتَصًّا بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَلَا يَتَمَكَّنُ غَيْرُهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ، فَلِهَذَا السَّبَبِ كَانَ الرَّسُولُ مُخْتَصًّا فِي بَابِ الْإِيمَانِ بِمَا لَا يُمْكِنُ حُصُولُهُ فِي غَيْرِهِ) [١]، وكذا في (إفراد الرسول بالحكم إما لتعظيمه أو لأن إيمانه عن مشاهدة وعيان، وإيمانهم عن نظر واستدلال) [٢]، ولِأَنَّ إِيمَانَهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مُتَقَدِّمٌ على إِيمَانِ الْمُؤْمِنِينَ، قال ابو حيان: (وَقَدَّمَ الرَّسُولَ لِأَنَّ إِيمَانَهُ هُوَ الْمُتَقَدِّمُ وَإِيمَانَ الْمُؤْمِنِينَ مُتَأَخِّرٌ عَنْ إِيمَانِهِ، إِذْ هُوَ الْمَتْبُوعُ وَهُمُ التَّابِعُونَ فِي ذَلِكَ) [٣]، ومن دلائل هذا التخصيص انه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– تلقى الوحي، واتصاله المباشر بالحقيقة المباشرة التي تتمثل في كيانه بذاتها من غير كد ولا محاولة وبلا أداة أو واسطة وهي درجة من الإيمان العالي و(لا مجال لوصفها فلا يصفها إلا من ذاقها، ولا يدركها من الوصف –على حقيقتها– إلا من ذاقها كذلك! فهذا الإيمان– إيمان الرسول– ﷺ– هو الذي يكرم الله عباده المؤمنين فيجمعهم في الوصف مع الرسول الكريم. على فارق ما بين مذاقه في كيان الرسول–ﷺ– بطبيعة الحال وكيان أيٍّ سواه ممن لم يتلق الحقيقة المباشرة من مولاه) [٤] .

وبعد ذكر الرسول –ﷺ– جيء بالاسم الموصول (ما) لبيان كيفية ايمانه، ففيه مزيد توضيح فقد آمن بكل جزء من أجزاء ما انزل اليه من ربه، فان (ما) تستعمل للدلالة على المفرد والمثنى والجمع وكذا المذكر والمؤنث[٥]. وفي هذا السياق القرآني اتت بمعنى الجمع، فان ايمانه –صلى الله عليه وسلم–: (شَامِلٌ لِجَمِيعِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى: مِنَ الْعَقَائِدِ، وَأَنْوَاعِ الشَّرَائِعِ، وَأَقْسَامِ الْأَحْكَامِ فِي الْقُرْآنِ، وَفِي غَيْرِهِ. آمَنَ بِأَنَّ ذَلِكَ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ وَصَلَ إِلَيْهِ) [٦]، فقد كان لاستعمال (ما) ولجملة الصلة (مزيدُ توضيحٍ لاندراجه في الرسل المؤمَنِ بهم عليهم السلام والمرادُ بما انزل إليه ما يعم كله وكل جزء من أجزائه ففيه تحقيق لكيفية إيمانه ﷺ وتعيين لعنوانه أي آمن عليه السلام بكل ما أنزل إليه) [٧] .

ونلحظ بعد ذلك ورود مجموعة من الضمائر بعضها يستعمل للغائب والبعض الآخر للمخاطب وسنقف على ذلك كلٌ في موضعه، منها قوله (إليه) في قوله تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِما

---

(١) مفاتيح الغيب:٧/ ١٠٧.
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١/ ١٦٦ .
(٣) البحر المحيط: ٢/ ٧٥٦ .
(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب: ١/ ٣٤٠ .
(٥) ينظر: معاني النحو: ١/ ١٢١ .
(٦)البحر المحيط: ٢/ ٧٥٦ .
(٧) ارشاد العقل السليم:١/ ٢٧٣.

أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ) فان الهاء ترجع الى الرسول-ﷺ- . ومن الاسماء قوله (رَبِّهِ) وعبر بـ(ربّ) إذ معناه المالك والسيد والمربي والمنعم والقيّم، والمتولي لمصالح العباد والمتكفل بمصلحة الموجودات وهو يقتضي كل صفات الله تعالى ويشمل كل أسماء الله الحسنى سامرائي، والرَّبُّ في الأصل: (التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حدّ التمام، يقال رَبَّهُ، وربّاه ورَبَّبَهُ. وقيل: (لأن يربّني رجل من قريش أحبّ إليّ من أن يربّني رجل من هوازن) . فالرّبّ مصدر مستعار للفاعل، ولا يقال الرّبّ مطلقا إلا لله تعالى المتكفّل بمصلحة الموجودات، نحو قوله: (بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) (سبأ: ١٥))[١]. وهذه المعاني تفسر لنا بوضوح مزايا الاتيان بلفظ الربّ في هذا المقام، فإنه لا يخفى فيها من التعظيم لقدره الشريف والتنويه برفعة محله المنيف فضلا عما توحيه من تربية وتكميل له-عليه السلام-[٢]، إذ هو(المحسن إليه بجليل التربية المزكي له بجميل التزكية فهو لا ينزل إليه إلا ما هو غاية في الخير ومنه ما حصل له في دنياه من المشقة) [٣]، وإضافة لفظ الربّ إلى الضمير الذي يرجع الى الرسول-عليه السلام- تشريفٌ له، وتنبيهٌ على أن إنزاله إليه تربية وتكميلٌ له-عليه السلام- [٤] .

ومجيء (المُؤْمِنُون) بعد ذكر الرسول-عليه السلام- وقد وصفوا بهذا (الوصف الدال على الرسوخ أي آمنوا بما ظهر لهم من المعجزة التي أثبتت أنه كلام الله سبحانه وتعالى بما دلت على أن الآتي به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) [٥]، وكذلك أتى معرفا بـ(ال) التي تفيد العهد فقوله(والمؤمنون) أي: (الفريقُ المعروفون بهذا الاسم فاللاَّم عهدية لا موصلة لإفضائها إلى خلو الكلام عن الجدوى)[٦]. وَالْمُؤْمِنُونَ-هُنَا- لَقَبٌ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ، وآمنوا بكل ما أنزله الله تعالى وقد كان من أثر هذا الإيمان أن (زكت نفوسهم، وطهرت قلوبهم، وعلت هممهم فأتوا بالعجب العاجب من فتح البلاد والشعوب وسياستها سياسة عدل وحكمة مما شهد لهم به أعدى أعدائهم، وسجله لهم التاريخ في سجلّ الدول العظيمة الرقيّ والتقدم حين كان الناس في ظلام دامس، وحين كانت أرقى الأمم في تلك العصور تسوس رعاياها بالخسف والعسف، فأنقذها مما ترسف فيه من قيود الاستعباد وجعلها تتنفس في جوّ من الحرية لم تر

(١) مفردات غريب القرآن: ٣٣٦ .
(٢) ينظر: ارشاد العقل السليم:١/ ٢٧٤، روح المعاني: ٢/ ٦٥ .
(٣) نظم الدرر: ٤/ ١٦٨ .
(٤) ينظر: ارشاد العقل السليم: ١/ ٢٧٤ .
(٥) نظم الدرر: ٤/ ١٧٠ .
(٦) ارشاد العقل السليم: ١/ ٢٧٤ .

مثله– وكفى بالله شهيدا لهم) [١].

وقوله(كلٌ) في قوله تعالى: (كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ) تفيد أكثر من معنى منها الشمول والضم والجمع بعد التفصيل، قال الراغب يؤتى بـ(كلّ) لمعنى(الضام للذوات وذلك يضاف تارة إلى جمع معرف بالألف واللام نحو قولك: كل القوم، وتارة إلى ضمير ذلك نحو(فسجد الملائكة كلهم أجمعون) وقوله(ليظهره على الدين كله) أو إلى نكرة مفردة نحو(وكل إنسان ألزمناه)– (وهو بكل شيء عليم) إلى غيرها من الآيات وربما عري عن الإضافة ويقدر ذلك فيه نحو(كل في فلك يسبحون))[٢]

كما في هذا الموضع، فإنها مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُلَازِمَةِ الْإِضَافَةَ وعندما حُذِفَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ نُوِّنَتْ تَنْوِينَ عِوَضٍ عَنْ مُفْرَدٍ. ودلت على معنى الإحاطة لأنها جَاءَتْ بَعْدَ ذِكْرِ مُتَعَدِّدٍ فقد سبقت بذكر الرسول–عليه السلام– والمؤمنين، ثُمَّ أريد جَمْعِهِم للإخبار عنهم، قال ابن عطية: ((كُلٌّ) لفظة تصلح للإحاطة، وقد تستعمل غير محيطة على جهة التشبيه بالإحاطة والقرينة تبين ذلك في كل كلام، ولما وردت هنا بعد قوله وَالْمُؤْمِنُونَ دل ذلك على إحاطتها بمن ذكر) [٣]. فان قوله تعالى: (كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ) (جَمْعٌ بَعْدَ التَّفْصِيلِ، وَكَذَلِكَ شَأْنُ (كُلٌّ) إِذَا جَاءَتْ بَعْدَ ذِكْرِ مُتَعَدِّدٍ فِي حُكْمٍ، ثُمَّ إِرَادَةُ جَمْعِهِ فِي ذَلِكَ)[٤] .

وبعد ذلك جيء بالإخبار عن مَرَاتِب أَرْبَعَة وتعد من ضَرُورَاتِ الْإِيمَانِ وهي قوله تعالى: (كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ)، وأول هذه المراتب الايمان بالله تعالى وهو: التَّصْدِيقُ بِهِ، وَبِصِفَاتِهِ، وَرَفْضُ الْأَصْنَامِ، وَكُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ، فانه يستحق الايمان لذاته لما له من الإحاطة بالكمال[٥]، وهذا الاسم الشريف مختصّ بالبارئ تعالى، وقيل أصله (إله فحذفت همزته وادخل عليه الألف واللام فخص بالباري تعالى ولتخصصه به قال تعالى: (هل تعلم له سميا)) [٦] .

وقوله(ومَلَائِكَتِهِ) والْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ: الْعِلْمُ بِأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مُطَهَّرُونَ يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [النَّحْلِ: ٥٠] لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ [الْأَنْبِيَاءِ: ١٩] فَإِنَّ لَذَّتَهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ، وَأُنْسَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، والملائكة جمع مَلَك وقيل أصله (مألك وقيل هو مقلوب عن ملأك والمألك والمألكة والألوك الرسالة ومنه ألكني أي أبلغه رسالتي والملائكة تقع على الواحد

---

(١) تفسير المراغي، المراغي: ٣/ ٨٤.
(٢) مفردات غريب القرآن: ٤٣٧ .
(٣) المحرر الوجيز: ١/ ٣٩١.
(٤) التحرير والتنوير: ٣/ ١٣٢.
(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: ٧/ ١٠٨ .
(٦) مفردات غريب القرآن: ٢١.

والجمع قال تعالى: (الله يصطفي من الملائكة رسلا)) [١].

وقوله(وكُتُبِهِ) والإيمان بكتبه هو التصديق بكل ما أنزل على أنبيائه ورسله –عليهم السلام– مِنَ السَّمَاءِ الذين تضمن ذكرهم كتاب الله المنزل على نبينا محمد–ﷺ–، أو ما أخبر هو به . وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ (وَكُتُبِهِ) بِصِيغَةِ جَمْعِ كِتَابٍ، وَقَرَأَهُ حَمْزَةُ، وَالْكِسَائِيُّ: (وَكِتَابِهِ)، بِصِيغَةِ الْمُفْرَدِ[٢] فهل أدى هذا الاختلاف في القراءة الى اختلاف في المعنى ؟

ناقش العلماء ذلك بشيء من التفصيل، فقد ذكروا أن من قرأ بالجمع فلإرادةِ كلِّ كتابٍ، إذ لا فرق بين كتابٍ وكتابٍ، أما القراءة بالإفراد ففيها اكثر من توجيه، قد يراد بها مَعْنَى الْجِنْسِ فَيُوَافِقُ مَعْنَى الْجَمْعَ، إذ استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع لأن المفرد يتناول جميع الآحاد ابتداء فلا يخرج عنه شيء منه قليلا أو كثيرا بخلاف الجمع فإنه يستغرق الجموع أولا وبالذات ثم يسري إلى الآحاد[٣]، قال الزمخشري: (قرأ ابن عباس: وكتابه، يريد القرآن أو الجنس وعنه: الكتاب أكثر من الكتب. فإن قلت: كيف يكون الواحد أكثر من الجمع؟ قلت: لأنه إذا أريد بالواحد الجنس–والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها– لم يخرج منه شيء. فأما الجمع فلا يدخل تحته إلا ما فيه الجنسية من الجموع)[٤]، وناقشه ابو حيان في ذلك وقال ليس كما ذكر (لأنَّ الجمعَ متى أُضِيف أو دَخَلَتْه الألفُ واللامُ الجنسية صارَ عامًّا، ودلالةُ العامِّ دلالةٌ على كلِّ فردٍ فردٍ، فلو قال: أَعْتَقْتُ عبيدي لشمل ذلك كلَّ عبدٍ له، ودلالةُ الجمعِ أظهرُ في العموم في الواحدِ سواءً كانت فيه الألفُ واللامُ أو الإضافةُ، بل لا يُذْهَبُ إلى العموم في الواحدِ إلاَّ بقرينةٍ لفظيةٍ كأَنْ يُسْتَثْنَى منه أو يوصفَ بالجمعِ نحو: (إِنَّ الإنسان لفي خُسْرٍ إِلاَّ الذين آمَنُوا) (العصر:٢–٣) أهلك الناسَ الدينارُ الصُّفر والدرهم البيض أو قرينةٍ معنويةٍ نحو: نيَّةُ المؤمنِ أبلغُ مِنْ عملِه، وأقصى حالِهِ أن يكونَ مثلَ الجمعِ العامِّ إذا أريد به العمومُ)[٥]، واضاف الحلبي أنه هناك (خلافٌ (خلافٌ في الجمعِ المحلَّى بأَلْ أو المضافِ: هل عمومُه بالنسبةِ إلى مراتبِ الجموعِ أم إلى أعمَّ من ذلك)[٦]، وهذا الإفرادُ في (كتابه) ليس كإفراد المصادر وانما كإفراد الأسماء التي يُرَاد بها الكثرةُ، فإنَّ (هذا الإفراد ليس كإفراد المصادر وإنْ أريدَ بها الكثيرُ كقوله تعالى: (وادعوا ثُبُوراً كَثِيراً) (الفرقان:٢٤) ولكنه كما تُفْرَدُ الأسماءُ التي يُرَاد بها الكثرةُ نحو: كَثُرَ الدينارُ والدرهمُ،

(١) مفردات غريب القرآن: ٢١.
(٢) السبعة في القراءات، ابن مجاهد: ١٩٥ .
(٣) ينظر: روح المعاني: ٢/ ٦٥ .
(٤) الكشاف: ١/ ٣٣١ .
(٥) البحر المحيط: ٢/ ٧٥٧–٧٥٨ .
(٦) الدر المصون: ٢/ ٦٩٢ .

ومجيئها بالألف واللامِ أكثرُ من مجيئها مضافةً، ومن الإضافةِ: (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ الله لاَ تُحْصُوهَا) (إبراهيم:٣٤) وفي الحديث: (مَنَعَتِ العراقُ درهمَها وقَفِيزها) يُراد به الكثيرُ، كما يُراد بما فيه لامُ التعريفُ)[١]، وجعل ابو حيان أنَّ (المفردَ المحلَّى بالألفِ واللامِ يَعُمُّ أكثرَ من المفرد المضاف)[٢]، في حين يلاحظ انه ليس في كلامه الذي سبق ذكره ما يدل على ذلك، قال السمين الحلبي: (ليس في كلامه ما يدُلُّ على ذلك البتةَ، إنما فيه أنَّ مجيئها في الكلامِ مُعَرَّفةً بأل أكثرُ من مجيئها مضافةً، وليس فيه تَعَرُّضٌ لكثرةِ عمومٍ ولا قِلَّتِهِ)[٣]، وقد يقال: اسْمُ الْجِنْسِ إِنَّمَا يُفِيدُ الْعُمُومَ إِذَا كَانَ مَقْرُونًا بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ، وَهَذِهِ اللفظة (كِتَابِهِ) أتت مُضَافَةٌ. لأنه ورد مثل ذلك في القرآن الكريم و(قَدْ جَاءَ الْمُضَافُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَنَعْنِي بِهِ الْكَثْرَةَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوها (إبراهيم:٣٤) وقال الله تعالى: أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلى نِسائِكُمْ (البقرة:١٨٧) وَهَذَا الْإِحْلَالُ شَائِعٌ فِي جَمِيعِ الصِّيَامِ)[٤]، وقد يراد بها القرآن الكريم وحده، ثُمَّ الْإِيمَانُ بِهِ وَيَتَضَمَّنُ الْإِيمَانَ بِجَمِيعِ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ[٥] .

وقوله(ورُسُلِهِ) الَّذِينَ يَقْتَبِسُونَ أَنْوَارَ الْوَحْيِ، وَالْإِيمَانُ بِرُسُلِهِ هُوَ التَّصْدِيقُ بِأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُمْ لِعِبَادِهِ، وقد عصمهم من الذُّنُوبِ[٦] .

ونلحظ ان هَذَا التَّرْتِيبُ فِي ذكر مراتب الايمان جاء في غَايَةِ الْفَصَاحَةِ، حيث قَدَّمَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ فِي الذِّكْرِ وهي الايمان به تعالى (وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَا لَمْ يَثْبُتْ أَنَّ لِلْعَالَمِ صَانِعًا قَادِرًا عَلَى جَمِيعِ الْمَقْدُورَاتِ، عَالِمًا بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ، غَنِيًّا عَنْ كُلِّ الْحَاجَاتِ، لَا يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ صِدْقِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَكَانَتْ مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْأَصْلُ)[٧]، والسر في ذكر الملائكة الملائكة بعده لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (إِنَّمَا يُوحِي إِلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِوَاسِطَةِ الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ: يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ (النحل:٢) وقَالَ: وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشاءُ (الشورى:٥١) وقال: فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ (البقرة:٩٧) وقال: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ (الشعراء:١٩٣-١٩٤) وقال: عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى (النَّجم:٥) فَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ وَحْيَ اللَّهِ تَعَالَى إِنَّمَا

---

(١) البحر المحيط: ٢/ ٧٥٧ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) الدر المصون: ٢/ ٦٩٣ .
(٤) مفاتيح الغيب: ٧/ ١١١ .
(٥) ينظر: المصدر نفسه .
(٦) المصدر نفسه: ٧/ ١٠٨ .
(٧) المصدر نفسه: ٧/ ١٠٧ .

يَصِلُ إِلَى الْبَشَرِ بِوَاسِطَةِ الْمَلَائِكَةِ فَالْمَلَائِكَةُ يَكُونُونَ كَالْوَاسِطَةِ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ الْبَشَرِ، فَلِهَذَا السَّبَبِ جَعَلَ ذِكْرَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ، وَلِهَذَا السِّرِّ قَالَ أيضا: شهد اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ (آل عِمْرَان:١٨))[١]. وأعقبه بذكر الكتب المقدسة لأنها (الْوَحْيُ الَّذِي يَتَلَقَّفُهُ الْمَلَكُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَيُوصِلُهُ إِلَى الْبَشَرِ وَذَلِكَ فِي ضَرْبِ الْمِثَالِ يَجْرِي مَجْرَى اسْتِنَارَةِ سَطْحِ الْقَمَرِ مِنْ نُورِ الشَّمْسِ فَذَاتُ الْمَلَكِ كَالْقَمَرِ وَذَاتُ الْوَحْيِ كَاسْتِنَارَةِ الْقَمَرِ فَكَمَا أَنَّ ذَاتَ الْقَمَرِ مُقَدَّمَةٌ فِي الرُّتْبَةِ عَلَى اسْتِنَارَتِهِ فَكَذَلِكَ ذَاتُ الْمَلَكِ مُتَقَدِّمٌ عَلَى حُصُولِ ذَلِكَ الْوَحْيِ الْمُعَبَّرِ عَنْهُ بِهَذِهِ الْكُتُبِ، فَلِهَذَا السَّبَبِ كَانَتِ الْكُتُبُ مُتَأَخِّرَةً فِي الرُّتْبَةِ عَنِ الْمَلَائِكَةِ، فَلَا جَرَمَ أَخَّرَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَ الْكُتُبِ عَنْ ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ)[٢]. وأخر ذكر الرسل –عليهم السلام– إذ هم (الَّذِينَ يَقْتَبِسُونَ أَنْوَارَ الْوَحْيِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَيَكُونُونَ مُتَأَخِّرِينَ فِي الدَّرَجَةِ عَنِ الْكُتُبِ فَلِهَذَا السَّبَبِ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَ الرُّسُلِ فِي الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ)[٣] .

وقوله (لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) استعمل في الآية الكريمة الظرف (بَيْنَ) ويؤتى به للمكان أوالزمان ولا يضاف إلا لمتعدّد[٤]، وقد أضيف في الآية الى «أحد» لأنه اسم لمن يصلح أن يخاطب، يستوي فيه الواحد والاثنين والجمع كما يستوي فيه المذكر والمؤنث. ويستعمل (أَحَد)على ضربين، (أحدهما في النفي فقط، والثاني في الإثبات. فأما المختص بالنفي فلاستغراق جنس الناطقين، ويتناول القليل والكثير على طريق الاجتماع والافتراق نحو: ما في الدار أحد أي واحد، ولا اثنان فصاعدا، لا مجتمعين ولا مفترقين. ولهذا المعنى لم يصح استعماله في الإثبات لأن نفي المتضادين يصح ولا يصح إثباتهما)[٥]، ويدل على التعميم في(النَّفْيِ وَهُوَ أَكْثَرُ أَحْوَالِ اسْتِعْمَالِهِ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ) (الحاقة: ٤٧) وَقَوْلُ الْعَرَبِ: أَحَدٌ لَا يَقُولُ ذَلِكَ، وَهَذَا الِاسْتِعْمَالُ يُفِيدُ الْعُمُومَ كَشَأْنِ النَّكِرَاتِ كُلِّهَا فِي حَالَةِ النَّفْيِ. وَبِهَذَا يَظْهَرُ أَنَّ أَحَدٍ لَفْظٌ مَعْنَاهُ وَاحِدٌ فِي الْأَصْلِ وَتَصْرِيفُهُ وَاحِدٌ وَلَكِنِ اخْتَلَفَتْ مَوَاقِعُ اسْتِعْمَالِهِ الْمُتَفَرِّعَةُ عَلَى أَصْلِ وَضْعِهِ حَتَّى صَارَتْ بِمَنْزِلَةِ مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَصَارَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَةِ الْمُتَرَادِفِ)[٦]. وقد أضيف (بين) الى(احد) وهو مفرد، وإنْ كان يقتضي إضافَتَه إلى متعدد والذي سوغ ذلك إمَّا لأنَّ (أحدًا) في معنى العموم وبمعنى الجمع، قال الزمخشري: (أَحَد في معنى الجمع، كقوله تعالى: (فَما مِنْكُمْ

(١) مفاتيح الغيب: ٧/ ١٠٧ –١٠٨.
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) ينظر: معاني النحو: ٢/ ١٨٠ .
(٥) مفردات غريب القرآن: ١٢ .
(٦) التحرير والتنوير: ١/ ٧٤٠ .

مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ) (الحاقة:٤٧)، ولذلك دخل عليه بين)[١]، فوصَفَه بالجمع، لأنَّ المرادَ به جمعٌ، (وإنَّما جازَ ذلكَ لأن (أحدًا) ليس كرجل يجوز أن يُثَنَّى ويُجْمع، وقولُك: ما يفعل هذا أحدٌ. تريد ما يفعلُه الناسُ كلُّهم، فلمّا كان (أحد) يؤدَّى عن الجميع جاز أَنْ يُسْتعمل معه لفظُ (بَيْن))[٢] وقد رَدَّ الرازي تأويلَ (أَحَد) فِي مَعْنَى الْجَمْعِ، فقال: (لا يجوز أن يكون (أحد) هاهنا فِي مَعْنَى الْجَمْعِ، لِأَنَّهُ يَصِيرُ التَّقْدِيرُ: لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ جَمِيعِ رُسُلِهِ، وَهَذَا لَا يُنَافِي كَوْنَهُمْ مُفَرِّقِينَ بَيْنَ بَعْضِ الرُّسُلِ وَالْمَقْصُودُ بِالنَّفْيِ هُوَ هَذَا، لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مَا كَانُوا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ كُلِّ الرُّسُلِ، بَلْ بَيْنَ الْبَعْضِ وَهُوَ مُحَمَّدٌ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَثَبَتَ أَنَّ التَّأْوِيلَ الَّذِي ذَكَرُوهُ بَاطِلٌ، بَلْ مَعْنَى الْآيَةِ: لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ، وبين غيره في النبوّة، فإذا فسرنا بِهَذَا حَصَلَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْكَلَامِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ)[٣]. وهذا وإنْ كان في نفسه صحيحاً إلا أنَّ القائلين بكونِ (أحد) بمعنى جميع، وإنما يريدون في العمومِ المُصَحِّح لإضافة (بين) إليه، قال ابو حيان: (وَلَا يَعْنِي مَنْ فَسَّرَهَا: بِجَمِيعٍ، أَوْ قَالَ: هِيَ فِي مَعْنَى الْجَمِيعِ، إِلَّا أَنَّهُ يُرِيدُ بِهَا الْعُمُومَ نَحْوُ: مَا قَامَ أَحَدٌ، أَيْ: مَا قَامَ فَرْدٌ فَرْدٌ مِنَ الرِّجَالِ، مَثَلًا، وَلَا فَرْدٌ فَرْدٌ مِنَ النِّسَاءِ، لَا أَنَّهُ نَفَى الْقِيَامَ عَنِ الْجَمِيعِ، فَيَثْبُتُ لِبَعْضٍ)[٤]، وأضاف قائلا: (وَيَحْتَمِلُ عِنْدِي أَنْ يَكُونَ مِمَّا حُذِفَ فِيهِ الْمَعْطُوفُ لِدَلَالَةِ الْمَعْنَى عَلَيْهِ، وَالتَّقْدِيرُ: لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ، فَيَكُونُ أحد هنا بمعنى واحد، لَا أَنَّهُ اللَّفْظُ الْمَوْضُوعُ لِلْعُمُومِ فِي النَّفْيِ. وَمِنْ حَذْفِ الْمَعْطُوفِ: سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ أَيْ وَالْبَرْدَ)[٥] .

وقوله (مِنْ رُسُلِهِ) كان يمكن الاكتفاء بالإضمار نحو(منهم) كما ذكر مثل ذلك في مواطن سابقة، لأنَّ (إيثار إظهار الرسل على الإضمار الواقع مثله في قوله تعالى: وَما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ (البقرة:١٣٦) إما للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة ولو على بعد في الحكم وهو وإن لم يكن فيه بأس إلا أنه ليس في التعرض له كثير جدوى إذ لا مزاحم في الظاهر، وإن كان فقليل أو للإشعار بعلة عدم التفريق أو للإيماء إلى عنوانه لأن المعتبر عدم التفريق من حيث الرسالة دون سائر الحيثيات)[٦]، وقد اتصل بالألفاظ السابقة (الهاء) الذي يرجع يرجع الى الباري سبحانه، وفِي قوله (وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) حيث اتصل ضمير الجماعة الواو

---

(١) الكشاف: ١/ ٣٣١ .
(٢) الدر المصون: ٢/ ٦٩٥ .
(٣) مفاتيح الغيب: ٧/ ١١٢ .
(٤) البحر المحيط: ٢/ ٧٥٩ .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) روح المعاني: ٢/ ٦٦ .

فضلا عن (نا) المتكلم بصيغة الجمع وذلك (باعتبار المعنى وهو حكاية لامتثالهم الأوامر والنواهي إثر
حكاية إيمانهم)[١] .

وقوله (غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) أي: يَلْتَمِسُونَ مِنْ قَبْلِهِ الْغُفْرَانَ فِيمَا يَخَافُونَ مِنْ تَقْصِيرِهِمْ فِيمَا يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ. وعبر بـ(غُفْرَانَكَ) إذ هو مصدر على وزن (فُعْلاَن) ويأتي على هذا الوزن أَسْمَاء الْمَصَادِر نحو السُّلوان والكُفْران[٢]، و(فُعْلاَن) من صيغ المبالغة ويدل على (الملء ليكون غفراً للظاهر والباطن وهو مصدر محيط المعنى نازل منزلة الاستغفار الجامع لما أحاط به الظاهر والباطن مما أودعته الأنفس التي هي مظهر حكمة الله سبحانه وتعالى التي وقع فيها مجموع الغفران والعذاب {فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء} ففي ضمنه بشرى بتعيين القائلين المذعنين ومن تبعهم بالقول لحال المغفرة)[٣]. و(غُفْرَانَكَ) بمعنى: مغفرتك، أي: اغفر لنا. وَيُسْتَغْنَى بِالْمَصْدَرِ عَنِ الْفِعْلِ فِي الدُّعَاءِ نَحْوَ سُقْيًا وَرَعْيًا، قال الفراء (وقوله: (غُفْرَانَكَ رَبَّنا ...) مصدر وقع فِي موضع أمر فنصب. ومثله: الصلاة الصلاة. وجميع الاسماء من المصادر وغيرها إذا نويت الأمر نصبت)[٤]. وقال الزمخشري: (غُفْرَانَكَ منصوب بإضمار فعله. يقال: غفرانك لا كفرانك، أي نستغفرك ولا نكفرك)[٥]. وَأَجَازَ بَعْضُهُمُ انْتِصَابَهُ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ، أَيْ: نَطْلُبُ، أَوْ: نَسْأَلُ غُفْرَانَكَ. وَالنصب على المصدر أَوْلَى مِنْ قَوْلِ مَنْ قَالَ: نَسْأَلُكَ غُفْرَانَكَ لِأَنَّ (هَذِهِ الصِّيغَةَ لَمَّا كَانَتْ مَوْضُوعَةً لِهَذَا الْمَعْنَى ابْتِدَاءً كَانَتْ أَدَلَّ عَلَيْهِ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُكُ: حَمْدًا حَمْدًا، وَشُكْرًا شُكْرًا، أَيْ أَحْمَدُ حَمْدًا، وأشكر شكر)[٦]. كما جَوَّزَ بَعْضُهُمُ الرَّفْعَ فِيهِ عَلَى أَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأً، أَيْ: غُفْرَانُكَ بغيتنا[٧]. ويلاحظ أن المؤمنين قدموا السمع والطاعة على طلب المغفرة لأن تقديمَ الوسيلةِ على المسؤول أدعى إلى الإجابة والقبول[٨]. وطَلَبَ هَذَا الْغُفْرَانِ مَقْرُونٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ (غُفْرانَكَ) بمعنى (أَطْلُبُ الْغُفْرَانَ مِنْكَ وَأَنْتَ الْكَامِلُ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ، وَالْمَطْمُوعُ مِنَ الْكَامِلِ فِي صِفَةٍ أَنْ يُعْطِيَ عَطِيَّةً كَامِلَةً، فَقَوْلُهُ غُفْرانَكَ طَلَبٌ لِغُفْرَانٍ كَامِلٍ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِأَنْ يَغْفِرَ

(١) روح المعاني: ٢/ ٦٦ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه، زجاج: ١/ ٣٦٩ .
(٣) نظم الدرر: ٤/ ١٧٢ – ١٧٣ .
(٤) معاني القرآن، الفراء: ١/ ١٨٨ .
(٥) الكشاف: ١/ ٣٣١ .
(٦) مفاتيح الغيب: ٧/ ١١٤ .
(٧) ينظر: البحر المحيط: ٢/ ٧٥٩ .
(٨) ينظر: روح المعاني: ٢/ ٦٦ .

جَمِيعَ الذُّنُوبِ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيُبَدِّلَهَا بِالْحَسَنَاتِ، كَمَا قَالَ: فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَناتٍ (الفُرْقَان: ٧٠))[١] .

وتلا ذلك قوله (ربَّنا) ونداء الباري سبحانه فيه فَوَائِدُ منها: أنت الذي (رَبَّيْتَنِي حِينَ مَا لَمْ أَذْكُرْكَ بالتوحيد، فكيف يليق بكرمك أن لا تربيني عند ما أَفْنَيْتُ عُمْرِي فِي تَوْحِيدِكَ وَثَانِيهَا: رَبَّيْتَنِي حِينَ كُنْتُ مَعْدُومًا، وَلَوْ لَمْ تُرَبِّنِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمَا تَضَرَّرْتُ بِهِ، لِأَنِّي كُنْتُ أَبْقَى حِينَئِذٍ فِي الْعَدَمِ، وَأَمَّا الْآنَ فَلَوْ لَمْ تُرَبِّنِي وَقَعْتُ فِي الضَّرَرِ الشَّدِيدِ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ لا تهملي وَثَالِثُهَا: رَبَّيْتَنِي فِي الْمَاضِي فَاجْعَلْ لِي فِي الْمَاضِي شَفِيعِي إِلَيْكَ فِي أَنْ تُرَبِّيَنِي فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَرَابِعُهَا: رَبَّيْتَنِي فِي الْمَاضِي فَإِتْمَامُ الْمَعْرُوفِ خَيْرٌ مِنِ ابْتِدَائِهِ، فَتَمِّمْ هَذِهِ التَّرْبِيَةَ بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ)[٢] رازي. فإنّ التعرض لعنوانِ الربوبيةِ مع الإضافة إليهم للمبالغةِ في التضرُّع والجُؤار. سعود و(اليك) رجوع الضمير الكاف الى الباري سبحانه إذ الْمَصِيرُ إِلَيْكَ لَا إِلَى غَيْرِكَ .

وقوله (الْمَصِيرُ) والمصير: اسمُ مصدرٍ مِنْ صارَ يصير أي: رَجَعَ، وَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى: مَفْعِلٍ، بِكَسْرِ الْعَيْنِ، وَقَدِ أُخْتُلِفَ فِي بِنَاءِ الْمَفْعِلِ من الفعلِ المعتلّ العينِ بالياءِ على ثلاثة مذاهبَ وهي: (جريانُه مَجْرَى الصحيح، فيُبْنى اسمُ المصدرِ منه على مَفْعَل بالفتح، والزمانُ والمكانُ بالكسرِ نحو: ضَرَبَ يَضْرِبَ مَضْرِباً، أو يُكْسَرُ مطلقاً، أو يُفْتَصَرُ فيه على السَّماعِ فلا يَتَعَدَّى وهو أعدلُهَا)[٣]. وفائدة ذكر المصير في آخر الآية الكريمة أنَّهم (كما أقرُّوا بالمبدإ؛ فكذلك أقرُّوا بالمعاد؛ لأن الإيمان بالمبدإ أصل الإيمان بالمعاد. والثانية: أن العبد متى علم أنَّه لا بدَّ من المصير إليه، والذهاب إلى حيث لا حكم إلاَّ حكم الله–تعالى–، ولا يستطيع أحدٌ أن يشفع إلاَّ بإذن الله، كان إخلاصه في الطَّاعات أتمَّ، واحترازه عن السَّيِّئات أكمل)[٤] .

أمّا الآية الثانية فقد كان نصيبها من هذه الاسماء مقاربا للآية السابقة، وبشكل واضح وابتدأت الآية الكريمة بذكر أول هذه الاسماء وهو لفظ الجلالة(الله) ضمن قوله تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) ومجيء لفظ الجلالة في هذا الموضع إذ هو الملك الأعظم الرحيم الأكرم الذي له جميع صفات الكمال فلفظ الجلالة (الله) يعنى الإله المعبود بالحق، وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ تَعَالَى بِخَلْقِهِ وَرَأْفَتِهِ بِهِمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، فإنّه سبحانه لم يكلفكم إلا ما هو في الوسع[٥].

---

(١) مفاتيح الغيب: ٧/ ١١٤ .

(٢) مفاتيح الغي: ب٧/ ١١٥ .

(٣) الدر المصون: ٢/ ٦٩٧ .

(٤) اللباب في علوم الكتاب: ٤/ ٥٣٠.

(٥) نظم الدرر: ٤/ ١٨٥ .

وقوله(نفسا) النفس من الالفاظ المشتركة، قال ابن فارس: ((نَفَسَ) النُّونُ وَالْفَاءُ وَالسِّينُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خُرُوجِ النَّسِيمِ كَيْفَ كَانَ، مِنْ رِيحٍ أَوْ غَيْرِهَا، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ فُرُوعُهُ) [١]. وتطلق على الروح وعلى الذات وغيرهما، إذ إنّ (لَفظ النَّفس مُشْتَرك يَقع على الرّوح وعَلى الذَّات وَيكون توكيدا يُقَال خرجت نَفسه أَي روحه وَجَاءَنِي زيد نَفسه بِمَعْنى التوكيد والسواد سَوَاء لنَفسِهِ كَمَا تَقول لذاته ولنفس أَيْضا المَاء وَجمعه أنفاس) [٢] . والمراد بها في الآية الكريمة الذات، بمعنى ان الله تعالى لا يكلف عباده إلا ما يطيقون، ويتيسر لهم فضلا منه ورحمة .

وقوله(وُسْعَهَا) الوسع مثل معنى الوجد والجهد، وهو(اسم فِي مثل معنى الوجد والجهد. ومن قال فِي مثل الوجد: الوجد، وفي مثل الجهد: الجهد)[٣]. الوسع خِلَاف الضِّيقِ وَالْعُسْرِ، قال ابن فارس: ((وَسَعَ) الْوَاوُ وَالسِّينُ وَالْعَيْنُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الضِّيقِ وَالْعُسْرِ. يُقَالُ وَسُعَ الشَّيْءُ وَاتَّسَعَ. وَالْوُسْعُ: الْغِنَى. وَاللَّهُ الْوَاسِعُ أَيِ الْغَنِيُّ. وَالْوُسْعُ: الْجِدَةُ وَالطَّاقَةُ) [٤]. فإنَّ الله تعالى لا يكلف عبده دون ما ينوء به قدرته إذ إنَّ (الوسع: ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه، أي لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود) [٥]. وتدل السعة في القرآن الكريم على الأمكنة والحال والقدرة وغيرها، قال الراغب:(السعة تقال في الأمكنة وفي الحال وفي الفعل كالقدرة والجود ونحو لك، ففي المكان نحو قوله (إن أرضي واسعة)–(ألم تكن أرض الله واسعة) وفي الحال قوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته) وقوله: (على الموسع قدره) والوسع من القدرة ما يفضل عن قدر المكلف، قال (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) تنبيها أنه يكلف عبده دون ما ينوء به قدرته، وقيل معناه يكلفه ما يثمر له السعة أي جنة عرضها السموات والأرض)[٦]، واستعمال الوسع في هذا الموضع مِنْ باب إِطْلَاقِ الْمَصْدَرِ وَإِرَادَةِ اسم المفعول فـ(الوسع هُوَ الطَّاقَةُ وَالِاسْتِطَاعَةُ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا مَا يُطَاقُ وَيُسْتَطَاعُ، فَهُوَ مِنْ إِطْلَاقِ الْمَصْدَرِ وَإِرَادَةِ الْمَفْعُولِ. وَالْمُسْتَطَاعُ هُوَ مَا اعْتَادَ النَّاسُ قُدْرَتُهُمْ عَلَى أَنْ يَفْعَلُوهُ إِنْ تَوَجَّهَتْ إِرَادَتُهُمْ لِفِعْلِهِ مَعَ السَّلَامَةِ وَانْتِفَاءِ الْمَوَانِعِ)[٧]. واتصلت بلفظة (الوسع) الهاء التي ترجع الى النفس .

---

(١) مقاييس اللغة: ٥/ ٤٦٠ .
(٢) الفروق اللغوية، ابو هلال العسكري: ١٠٣ .
(٣) معاني القرآن، الفراء: ١/ ١٨٨ .
(٤) مقاييس اللغة: ٦/ ١٠٩ .
(٥) الكشاف: ١/ ٣٣٢ .
(٦) المفردات في غريب القرآن: ٥٢٣ .
(٧) التحرير والتنوير: ٣/ ١٣٥ .

وفي قوله تعالى (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) نلحظ تكرار ضمير الغائب (هَا) الذي يرجع الى النفس مع مجيء (ما) الاسم الموصول بعدها ليدل في الاولى انها تفيد خير ما كسبته لنفسها من قول أو فعل، وفي الثانية انه عليها ضرّ ما جدّت فيه من شر. قال الالوسي: (والضمير في لَها للنفس العامة والكلام على حذف مضاف هو ثواب في الأول وعقاب في الآخر، ومبين ما الأولى الخير لدلالة اللام الدالة على النفع عليه، ومبين ما الثانية الشر لدلالة– على– الدالة على الضر عليه) (١) .

وقوله (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) هذا شروع في حكاية بقية دعواتهم فقالوا (ربَّنا) فقد تكرر في الادعية الاتية، من أجل اظهار الضراعة له سبحانه وقُصِدَ مِنْ إِعَادَتِهِ إِظْهَارُ المزيد من التَّذَلُّلِ والاسترحام والمبالغة في التذلل والاعتراف لله سبحانه بربوبيته، واتصل بضمير الجمع، كما باقي الدعوات الاتية فقد وردت بصيغة الجمع والْفَائِدَةُ فِي هَذِهِ الْجَمْعِيَّةِ وَقْتَ الدُّعَاءِ إذ إنَّ (المَقْصُود مِنْهُ بَيَانُ أَنَّ قَبُولَ الدُّعَاءِ عِنْدَ الِاجْتِمَاعِ أَكْمَلُ وَذَلِكَ لِأَنَّ لِلْهِمَمِ تَأْثِيرَاتٍ فَإِذَا اجْتَمَعَتِ الْأَرْوَاحُ وَالدَّوَاعِي عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ كان حصوله أكمل) (٢) .

وقوله (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا) وعبر بالإصر في هذا المقام بمعنى الحبس والعَطف وما في معناهما قال ابن فارس: ((أصر) الهمزة والصاد والراء، أصلٌ واحدٌ يتفرع منه أشياء متقاربة. فالإصر الحبسُ والعَطف وما في معناهما. وتفسيرُ ذلك أنَّ العهد يقال له إصْرٌ، والقرابة تسمى آصِرَةٌ، وكل عقدٍ وقرابةٍ وَعهدٍ إصرٌ. والبابُ كلُّه واحد)(٣).

ويراد بالإصر في الآية الكريمة الأمور التي تثبطهم وتقيدهم عن فعل الخيرات والطاعات، فـ(الأصر عقد الشيء وحبسه بقهره يقال أصرته فهو مصور والمأصر والمأصر محبس السفينة قال تعالى: (ويضع عنهم إصرهم) أي الأمور التي تثبطهم وتقيدهم عن الخيرات وعن الوصول إلى الثوابات، وعلى ذلك (ولا تحمل علينا إصرا))(٤)، وَأُطْلِقَ أَيْضًا عَلَى مَا يَثْقُلُ عَمَلُهُ، وَالِامْتِثَالُ وَالِامْتِثَالُ فِيهِ، وَبِذَلِكَ فَسَّرَهُ الزَّجَّاجُ، فقال: (المعنى لَا تَحْمِلْ علينا أمْرا يثْقُل كما حمَلتَه على الذين من قبلنا نحو ما أمِرَ به بنو إسرائيل من قتل أنفسهم، أي لا تَمْتَحِنا بما يثقل)(٥)، وكذا فسره الزَّمَخْشَرِيُّ بأن الإصر العبء واستعير هُنَا للتكليف الشاق، فقال: (الإصر: العبء الذي يأصر حامله أي: يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله، استعير للتكليف الشاقّ، من نحو قتل الأنفس، وقطع

(١) روح المعاني: ٢/ ٦٧.
(٢) مفاتيح الغيب: ٧/ ١٢٤ .
(٣) مقاييس اللغة: ١/١١٠ .
(٤) المفردات في غريب القرآن: ١٨ .
(٥) معاني القرآن وإعرابه: ١/ ٣٧٠ –٣٧١ .

موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك)[١]، وقيل الْإِصْر: الذَّنْبُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ تَوْبَةٌ وَلَا كَفَّارَةٌ[٢] .

ومن الاسماء التي حوتها هذه الآية الكريمة، الاسم الموصول (ما) بمعنى الذي والضمائر في الفعل (حملته) مفسرة ومبينة لمعنى الآية وكذا (الذين) ثم الظرف واتصل به ضمير الجماعة، وكل هذه المجموعة تظافرت لتعطينا مقصدا مهما لغرض هذه الدعوة المباركة، فقد أتت (في حيز النصب على أنه صفة لمصدر محذوف أي حملا مثل حملك إياه على من قبلنا، أو على أنه صفة لإصرا أي إصرا مثل الإصر الذي حملته على من قبلنا- وهو ما كلفه بنو إسرائيل- من قتل النفس في التوبة أو في القصاص)[٣] وغير ذلك.

وقوله (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ) قوله (رَبَّنَا) فيه مزيد ضراعة، ونلحظ وفرة ضمائر الجماعة(نا) التي تعبر عن قوة رابطة المؤمنين وكأنها تصدر من قلب واحد، و يدل الاسم موصول (ما) على مَا لَا نَسْتَطِيعُ حَمْلَهُ مِنَ الْعُقُوبَاتِ، وقوله (طاقة) بمعنى الْقُدْرَةُ عَلَى الشَّيْءِ، وَهِيَ مَصْدَرٌ جَاءَ عَلَى غَيْرِ قِيَاسِ الْمَصَادِرِ، واصلها الْإِطَاقَةُ خُفِّفَتْ بِحَذْفِ الْهَمْزَةِ كَمَا قَالُوا: جَابَةٌ وَإِجَابَةٌ وَطَاعَةٌ وَإِطَاعَةٌ[٤]. و(الطاقة) هي (اسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقة وذلك تشبيه بالطوق المحيط بالشيء فقوله (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) أي ما يصعب علينا مزاولته وليس معناه لا تحملنا ما لا قدرة لنا به، وذلك لأنه تعالى قد يحمل الإنسان ما يصعب عليه كما قال (ويضع عنهم إصرهم)-(ووضعنا عنك وزرك) أي خففنا عنك العبادات الصعبة التي في تركها الوزر)[٥]، وتعود الهاء (بِهِ) الى على ما قبلها من طلب الاستعفاء من العقوبات أو من البلايا والمحن، وما يشق علينا من الأحكام .

ومضى بيانِ سرِّ وفرة ضمائر الجماعة(نا) في باقي الكلمات. وقوله(أَنْتَ مَوْلَانَا) ومجيء ضمير المخاطب (انت) في مقام خطاب الله تعالى، وذلك لِأَنْ (يَصِيرَ الْعَبْدُ مُقْبِلًا بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى اللَّهِ تعالى لأن قوله أَنْتَ مَوْلانا خطاب الحاضرين)[٦] .

وقوله(مَوْلَانَا) مأخوذ من (ولي) ويدل على القرب، قال ابن فارس: ((ولي) الواو واللام والياء: أصلٌ صحيح يدلُّ على قرب. من ذلك الوَلْيُ: القرْب ... .. ومن الباب المَوْلَى: المُعْتِقُ والمُعْتَق،

(١) الكشاف: ١/ ٣٣٣ .
(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣/١٤٠ .
(٣) روح المعاني: ٢/ ٦٨ .
(٤) ينظر: البحر المحيط: ٢/ ٧٦٦، والتحرير والتنوير: ٣/ ١٤١ .
(٥) المفردات في غريب القرآن: ٣١٢ .
(٦) مفاتيح الغيب: ٧/ ١٢٤ .

والصَّاحب، والحليف، وابن العَمّ، والنَّاصر، والجار؛ كلُّ هؤلاءِ من الوَلْيِ وهو القُرْب. وكلُّ مَن ولِيَ أمرَ آخرَ فهو وليُّه)[١]، والوِلايَةُ: النُّصْرَةُ. وهذا المعنى يُستعمل في كلّ من الولي والمَوْلَى، ولهذا يقال: الله تعالى ولي المؤمنين ومولاهم، قال الراغب: (الولي والمولى يستعملان في ذلك كل واحد منهما يقال في معنى الفاعل أي المُوالِي، وفي معنى المفعول أي المُوالَى، يقال للمؤمن هو ولي الله عز وجل ولم يرد مولاه، وقد يقال: الله تعالى ولي المؤمنين ومولاهم)[٢]، والمَولى على وزن (مفعلٌ) من وَلِي يلي، وهذه الصيغة يشترك فيها المصدر الميمي واسما المكان، والزمان، وهو هنا مصدر يُرادُ به الفاعلُ لأنه (أُرِيدَ بِهِ مَالِكُ التَّدْبِيرِ وَالتَّصْرِيفِ فِي وُجُوهِ الضُّرِّ وَالنَّفْعِ، أَوِ السَّيِّدُ، أَوِ النَّاصِرُ، أَوِ ابْنُ الْعَمِّ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ مُحَامِلِهِ، فَأَصْلُهُ الْمَصْدَرُ، سُمِّيَ بِهِ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الْاسْمِيَّةُ، وَوَلِيَتْهُ الْعَوَامِلُ)[٣]، وعلى هذا يكونَ التقدير على حَذْفِ مضافٍ أي: صاحِبُ تولّينا أي: نُصْرتِنا ولذلك قال: (فانصُرْنا)[٤].

وقوله(فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) وعبر بـ(القوم) عن جماعة الكافرين، إذ القوم جماعة ناسٍ، قال ابن فارس: ((قوم) القاف والواو والميم أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدهما على جماعةِ ناسٍ، وربّما استعير في غيرهمْ. والآخَر على انتصابٍ أو عَزْم. فالأوّل: القوم، يقولون: جمع امرئٍ، ولا يكون ذلك إلاّ للرّجال. قال الله تعالى: (لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْم) (الحجرات:١١)، ثمَّ قال: (وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ) (الحجرات:١١))[٥]. ويلحظ ان الدعاء مقصور على الرجال الكافرين، إذ هم أصحاب السطوة والسلطة والحروب وسواهم تبع لهم .

وقوله(الكَافِرِينَ) أي: أنْصُرنا عليهم في إقامة الحجة عليهم، وفي غلبنا إياهم في حربهم وسائر أمرهم، حتى تظهر ديننا على الدِّين كلِّه كما وعدتنا[٦] .

المبحث الثالث: التراكيب أنواعها ودلالاتها

لقد تنوعت الجمل في هاتين الآيتين الكريمتين من حيث الاسمية والفعلية وكذا الخبر والانشاء وغيرهما، مما اسهم في ثراء معاني الآيتين والوفاء بالأغراض التي سيقت من اجلهما، كما هو بين من خلال الاخبار سواء كان بالجمل الاسمية او الفعلية، حسبما يقتضيه المقام إذ الاتيان بالجمل الاسمية لما هو ثابت ولازم كما تدل عليه القرائن في موضعه، في حين ان

---

(١) مقاييس اللغة: ٦/ ١٤١ .
(٢) المفردات في غريب القرآن: ٥٣٣ .
(٣) البحر المحيط: ٢/ ٧٦٧ .
(٤) ينظر: الدر المصون: ٢/ ٧٠٣ .
(٥) مقاييس اللغة: ٥/ ٤٣ .
(٦) ينظر: مفاتيح الغيب: ٧/ ١٢٥.

ت	أنواع الجمل		الجمل			
			(البقرة: ٢٨٥)	المجموع	(البقرة: ٢٨٦)	المجموع
١	خبرية		(آمن الرسول..)-(كلّ آمن بالله)-(لا نفرّق..)-(قالوا ...)-(سمعنا)-(أطعنا)-(اليك المصير)	٧	(لا يكلّف الله..)-(لها ما كسبت)-(عليها ما اكتسبت)-(أنت مولانا)	٤
٢	انشائية	أمر			(اعف عنّا)-(اغفر لنا)-(ارحمنا)-(انصرنا..)	٤

الاتيان بالجمل الفعلية لما فيه تجدد وحدوث. وكذا دلالة مجيء الخبر والانشاء في موضعه ان شاء الله تعالى. وكما هو موضح في الجدولين (٣) و(٤) الآتيين:

		نهي			(لا تؤاخذنا..)-(لا تحمل علينا إصرا..) - (لا تحمّلنا..)	٣
		نداء	(غفرانك)-(ربّنا)	٢	(رَبَّنا)(٣)*	٣

(٣)جدول يبين نوع والفاظ الجمل الواردة في خواتيم سورة البقرة:

ت	انواع الجمل		الجمل•	
			(البقرة: ٢٨٥)	(البقرة: ٢٨٦)
١	لا محل لها من الاعراب	استئنافيّة	(آمن الرسول)- (كلّ آمن بالله)- (قالوا..)- (غفرانك)	(لا يكلّف الله..)-(لها ما كسبت) -(أنت مولانا)-(انصرنا..)
		معطوفة على ما لا محل لها	(إليك المصير)	(عليها ما اكتسبت)-(أخطأنا)- (لا تحمل علينا إصرا)-(لا تحمّلنا..)-(اعف عنّا)-(اغفر لنا)-(ارحمنا)
		صلة الموصول	(أنزل إليه)	(كسبت)-(اكتسبت)-(حملته)- (لا طاقة لنا به)
		اعتراضيّة	(ربّنا)	(ربّنا)(٢)*
		جواب النداء		(لا تؤاخذنا)
		تعليلية		(إن نسينا)
٢	لها محل من الاعراب	مقول القول	(لا نفرّق..)-(سمعنا)	
		خبر	(آمن بالله)	
		معطوفة على ما لها محل	(أطعنا)	

(٤) جدول يبين نوع والفاظ الجمل من حيث(الخبر والانشاء)الواردة في خواتيم سورة البقرة:

وابتدأ بأول هذه الجمل: وهو قوله تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ) الجملة استئنافية مسوقة للإخبار بأن الرسول -ﷺ- والمؤمنين آمنوا بكل ما فرض الله تعالى على

* هذا الرقم لبيان عدد تكرارها .

العباد، فإنه (لما ذكر الله –جلَّ وعزَّ– فَرْضَ الصلاة والزكاة والطلاق والحيض والإيلاءِ والجهاد وأقاصيص الأنبياءِ والدَّيْن والربا، ختم السورة بذكر تعظيمه وذكر تصديق نبيه –صلى الله عليه وسلم– والمؤمنين بجميع ذلك)[١] من التشريع والارشاد، وما ورد ذكره في السورة المباركة من قصص الأنبياء. ففيها تبيين كَوْن الْمُؤْمِنِينَ فِي نِهَايَةِ الِانْقِيَادِ وَالطَّاعَةِ وَالْخُضُوعِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ هُوَ كَمَالُ الْعُبُودِيَّةِ، فانه تَعَالَى (لَمَّا بَيَّنَ فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ كَمَالَ الْمُلْكِ، وَكَمَالَ الْعِلْمِ، وَكَمَالَ الْقُدْرَةِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ يُوجِبُ كَمَالَ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِأَنْ بَيَّنَ كَوْنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي نِهَايَةِ الِانْقِيَادِ وَالطَّاعَةِ وَالْخُضُوعِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ هُوَ كَمَالُ الْعُبُودِيَّةِ وَإِذَا ظَهَرَ لَنَا كَمَالُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَقَدْ ظَهَرَ مِنَّا كَمَالُ الْعُبُودِيَّةِ، فَالْمَرْجُوُّ مِنْ عَمِيمِ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ أَنْ يُظْهِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي حَقِّنَا كَمَالَ الْعِنَايَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ)[٢]. وبعد ان ذكر تلك الاغراض التفاصيل، أثنى عَلَى رَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ فِي إِيمَانِهِمْ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، فهذا (انْتِقَالٌ مِنَ الْمَوَاعِظِ، وَالْإِرْشَادِ، وَالتَّشْرِيعِ، وَمَا تَخَلَّلَ ذَلِكَ: مِمَّا هُوَ عَوْنٌ عَلَى تِلْكَ الْمَقَاصِدِ، إِلَى الثَّنَاءِ عَلَى رَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ فِي إِيمَانِهِمْ بِجَمِيعِ ذَلِكَ إِيمَانًا خَالِصًا يَتَفَرَّعُ عَلَيْهِ الْعَمَلُ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِالرَّسُولِ وَالْكِتَابِ، يَقْتَضِي الِامْتِثَالَ لِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عَمَلٍ)[٣]، وناسب مجيء الآية الكريمة في هذا الموضع فقد أخبرت بإيمانهم بما أنزل إليه بخصوصه وبجميع الكتب وجميع الرسل وبقولهم الدال على كمال الرغبة وغاية الضراعة والخضوع لتكون تأكيدا وفذلكة لجميع ذلك المذكور من قبل، فـ(الْجُمْلَةُ اسْتِئْنَافٌ ابْتِدَائِيٌّ وُضِعَتْ فِي هَذَا الْمَوْقِعِ لِمُنَاسَبَةِ مَا تَقَدَّمَ، وَهُوَ انْتِقَالٌ مُؤْذِنٌ بِانْتِهَاءِ السُّورَةِ لِأَنَّهُ لَمَّا انْتَقَلَ مِنْ أَغْرَاضٍ مُتَنَاسِبَةٍ إِلَى غَرَضٍ آخَرَ: هُوَ كَالْحَاصِلِ وَالْفَذْلَكَةِ، فَقَدْ أَشْعَرَ بِأَنَّهُ اسْتَوْفَى تِلْكَ الْأَغْرَاضَ)[٤] .

وجملة: (أُنْزِلَ إِلَيْهِ) لا محلّ لها صلة الموصول(مَا)، وهذه الجملة اخبار بالأمور التي تعلق الايمان بها، وهو يعم كله وكل جزء من أجزائه، فقد آمنوا بكل ما انزل مِن عند الله تعالى من آيات القرآن ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرائع والاحكام والقصص والمواعظ واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى[٥]. والايمان بحقيقة أحكامه وصدق اخباره ونحو ذلك من فروع الايمان به من الحيثية المذكورة، ففيه تحقيق لكيفية إيمانه صلى الله عليه وسلم وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُونَ، فإنَّ (مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ شَامِلٌ لِجَمِيعِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ١/ ٣٦٨ .

(٢) مفاتيح الغيب: ٧/ ١٠٥ .

(٣) التحرير والتنوير: ٣/١٣١-١٣٢ .

(٤) التحرير والتنوير: ٣/١٣١-١٣٢ .

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم:١/٢٧٣، والجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود الصافي: ٣/٩٩ .

مِنَ الْعَقَائِدِ، وَأَنْوَاعِ الشَّرَائِعِ، وَأَقْسَامِ الْأَحْكَامِ فِي الْقُرْآنِ، وَفِي غَيْرِهِ. آمَنَ بِأَنَّ ذَلِكَ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ وَصَلَ إِلَيْهِ)[١] . وضمن هذه الجملة القرآنية ورد (المُؤْمِنُونَ) مرفوعا وفيه احتمالان:

أحدهما: أنه مرفوعٌ بالفاعلية عطفاً على «الرَّسُول» – عليه الصَّلاة والسَّلام – فيكونُ الوقفُ هنا، ويَتِمُّ الكلامُ عند قوله (والمؤمنون)، ويكون قوله: (كُلٌّ آمَنَ) جملةً من مبتدأ وخبر، بمعنى: كُلّ أحَدٍ من المذكُورين وهم الرَّسُول والمُؤْمِنُون آمَنَ بالله تعالى وبجميع مَنْ تقدَّم ذكره[٢]. قال الزمخشري: ((وَالْمُؤْمِنُونَ) إن عطف على الرسول كان الضمير– الذي التنوين نائب عنه في كل– راجعاً إلى الرسول والمؤمنين، أي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين. ووقف عليه. وإن كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين)[٣] .

والاحتمال الثَّاني: أن يتمَّ الكلامُ عند قوله: (بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ) ثم يبتدئ (المؤمنون كُلٌّ آمَنَ بالله) ويكون (المُؤْمِنُونَ) مبتدأٌ، و(كلٌّ) مبتدأ ثانٍ، و(آمَنَ) خبرٌ عن (كُلّ) وهذا المبتدأ وخبرُه خبرُ الأوَّل؛ وعلى هذا فلا بُدَّ من رابطٍ بين هذه الجملةِ وبين ما أخبر بها عنه، وهو محذوفٌ، تقديرُه: (كُلٌّ مِنْهُمْ)[٤]، ويكون المعنى: أن الرَّسول آمَنَ بكُلِّ ما أُنزلَ إليه من ربِّه، وأمَّا المُؤْمِنُونَ فإنَّهم آمَنُوا بالله ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ.

وقد رأى بعض العلماء ان هذا الوجه أقوى من حيث التعظيم لشان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتأكيد للإشعار بما بين إيمانه صلى الله تعالى عليه وسلم المبني على المشاهدة والعيان وبين إيمان سائر المؤمنين الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والفرق الواضح كأنهما مختلفان من كل وجه حتى في هيئة التركيب. وأجابوا عن القول بأن حكم المؤمنين أقوى من حكم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لكون جملتهم اسمية وفيها تأكيد مستفاد من تكرار الاسناد المقوي للحكم وهو قوله(وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ)، وذلك لأن ما في الحكم بإيمان كل واحد منهم على الوجه المذكر من نوع خفاء محوج لهذا التأكيد وقوة الحكم[٥] .

في حين رجح جمع من العلماء الوجه الأول، لأنه اقضى لحق البلاغة وأولى في التلقي بالقبول، فالرسول –صلّى الله عليه وسلم– حينئذ يكون أصلا في حكم الإيمان بما أنزل الله

---

(١) البحر المحيط: ٢/ ٧٥٦ .

(٢) ينظر: الدر المصون: ٢/ ٦٩١، واللباب في علوم الكتاب: ٤/ ٥٢٤ .

(٣) الكشاف: ١/ ٣٣١ .

(٤) ينظر: الدر المصون: ٢/ ٦٩١، واللباب في علوم الكتاب: ٤/ ٥٢٤ .

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٧٤/١ .

والمؤمنون تابعون له ويا فخرهم بذلك[١]. ومن لم يرتض هذا الوجه، بحجة انه لم يكن فيه تمييز لإيمان الرسول عما سواه واظهار لخصوصيته –عليه الصلاة والسلام–وغيرها من امور، قال: (إن حمل كل من الإيمانين على ما يليق بشأنه صلّى الله عليه وسلم من حيث الذات ومن حيث التعلق استحال إسنادهما إلى غيره عليه الصلاة والسلام وضاع التكرير، وإن حمل على ما يليق بشأن آحاد الأمة كان ذلك حطا لرتبته العلية وإذا حملا على ما يليق بكل واحد مما نسبا إليه ذاتا وتعلقا بأن يحملا بالنسبة إليه صلى الله تعالى عليه وسلم على الإيمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة إلى آحاد الأمة على الإيمان المكتسب من مشكاته صلى الله تعالى عليه وسلم اللائق بحالهم من الإجمال والتفصيل كان اعتسافا بينا ينزه عنه التنزيل)[٢]. والظاهر ان المقام ليس لبيان الافضلية فمقام الرسول اجل واعلى من ان يقارن بأحد وانما الكلام يدور حول الاخبار عن ايمانه وعن ايمان المؤمنين، و(لأن المقام لتعداد المؤمن به. وذلك يشترك فيه الرسول وأتباعه. وإن كان كنه إيمان الرسول لا يشاركه فيه غيره. فالمقام ليس مقام الخصوصية. والله أعلم) [٣] .

ومن الادلة التي ذكرت تأييدا لرايهم، قوله (لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) إذ إنَّ القائلين بذلك آحادُ المؤمنين خاصة إذ لا يمكن أن يُسند إليه –عليه السَّلام– أنْ يقولَ لا أفرق بَيْنَ أحدٍ من رُسُلِهِ وهو يريد به إظهارَ إيمانه برسالة نفسِه وتصديقَه في دعواها[٤]، يمكن ان يحمل هذا القول على التغليب، قال الالوسي: (من اعتبر إدراج الرسول في كُلٌّ واستبعد هذا قال: بالتغليب هاهنا، ومن لم يستعبد إذ كان صلى الله تعالى عليه وسلم يأتي بكلمة الشهادة كما يأتي بها سائر الناس، أو يبدل العلم فيها بضمير المتكلم لم يحتج إلى القول بالتغليب) [٥] .

وقوله (كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ) وكذا هذه الجملة (كلّ آمن بالله) لا محلّ لها استئنافية من مبتدأ وخبر، وسوغ الابتداء بالنكرة كونها في تقدير الإضافة. وقد تغير سبك النظم الكريم عما قبلَه، حيث عبر في هذا المقام بالجملة الاسمية التي تدل على الثبوت واللزوم[٦]، فهي اخبار عن رسوخ ايمانهم فان (كل فريق من هذين الفريقين، وهما الرسول والمؤمنون وذكر

(١) ينظر: روح المعاني: ٢/ ٦٥ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) محاسن التأويل، القاسمي: ٢/ ٢٤٠ .
(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١/٢٧٥ .
(٥) روح المعاني: ٢/ ٦٦ .
(٦) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ١/ ٤٤٨ .

كل على هذا فيه إشارة إلى مرتبة النبيين، وأنها أعلى من مرتبة المؤمنين ولو كانوا صادقين، وإن جمعهما المولى القدير في نسبة واحدة، تعالت كلمات الله سبحانه)[١] .

وجملة: (لا نفرّق..) ضمن قوله (لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) في محلّ نصب مقول القول لفعل محذوف تقديره: يقولون لا نفرّق. وجملة الفعل المقدّر في محلّ نصب حال. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ: (يَقُولُ لَا نُفَرِّقُ، لِأَنَّهُ يُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ. وَعَنْ غَيْرِهِ، فَيَكُونُ: يَقُولُ، على اللفظ، و: يقولون، عَلَى الْمَعْنَى بَعْدَ الْحَمْلِ عَلَى اللَّفْظِ، وَعَلَى كِلَا التَّقْدِيرَيْنِ فَمَوْضِعُ هَذَا الْمُقَدَّرِ نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ)[٢]، ويلاحظ في هذه الجملة القرآنية الانتقال بالخطاب من الغائب الى الحاضر على طريق الالتفات فانه يدل على الحضور والاقبال بالكلية على المولى سبحانه فهذا (التفات في القول، وهو منهاج بلاغي، فبعد أن كان الكلام بصيغة الحكاية عن النبي-ﷺ- والمؤمنين، صار بصيغة المتحدثين عن أنفسهم هم، وهى أن حالهم في هذا الإيمان أنهم لا يفرقون بين رسول ورسول، فيؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض،. . . .. . ومعنى هذه الجملة السامية هو تصريح بما تضمنه ما قبلها، لأن ما قبلها تضمن أنهم يؤمنون بكل الرسل، ومقتضى ذلك أنهم لا يفرقون في الإيمان بهم وكونهم مبعوثين من عند الله بين رسول ورسول، وعدم التفرقة لا صلة لها بالتفضيل في الدرجات؟ لان ذلك من فضل الله إذ يقول: (تلك الرسل فضلنا بعضمهم على بعض) (البقرة:٢٥٣)، ولأن موضوع التفرقة وعدم التفرقة هو في الإيمان)[٣]. والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب، وجيء بـ(لا) لنفي الجملة المضارعية بدل(ما) مع انه كلا الاداتين تستعمل لنفي الجمل الاسمية والفعلية، فما دلالة ذلك:

ذكر العلماء انه اذا دخلت (ما) على الفعل المضارع خلصته للحال وهذا يحصل في كثير من المواضع فإنها تكون لنفي الحال وقد تكون لغير الحال ايضا فقد تدل على الاستمرار، ٤- ١٦٤

قال سيبويه: (وإذا قال (هو يفعل) أي هو في حال فعل، فإنَّ نفيه ما يفعل. وإذا قال (هو يفعل) ولم يكن الفعل واقعاً فنفيه (لا يفعل))[٤]. في حين يرون ان (لا) اذا دخلت على الفعل المضارع فإنها تخلصه للاستقبال، قال سيبويه: (وإذا قال (هو يفعل) ولم يكن الفعل واقعاً فنفيه (لا يفعل). وإذا قال (ليفعلنَّ) فنفيه (لا يفعل)، كأنه قال: (والله ليفعلنَّ) فقلت (والله لا يفعل))[٥]. كما قال المبرد: (وَمِنْهَا (لَا) وموضعها من الْكَلَام النَّفْي فإِذا وَقعت على فِعْل نفتْه مُسْتَقْبلا وَذَلِكَ قَوْلك لَا

(١) زهرة التفاسير، أبو زهرة: ١٠٨٨ .
(٢) البحر المحيط: ٧٥٨/٢ .
(٣) زهرة التفاسير: ١٠٨٨ - ١٠٨٩ .
(٤) زهرة التفاسير: ١٠٨٨ - ١٠٨٩ .
(٥) الكتاب: ٣/ ١١٧ .

يقوم زيد وحقٌّ نَفيهَا لما وَقع مُوجبا بالقسم)[١]. ويرى ابن مالك ان المضارع المنفي بـ(لا) صالح للحال وللاستقبال، فقال ان (المضارع صالح للاستقبال وللحال ولو نفي بـ(لا) خلافا لمن خصها بالمستقبل)[٢]. وذكر الزركشي انه قَدْ يُنْفَى الْمُضَارِعُ بـ(لا) مُرَادًا بِهِ نَفْيُ الدَّوَامِ، وقد يكون للحال، فقال: (وَقَدْ يُنْفَى الْمُضَارِعُ مُرَادًا بِهِ نَفْيُ الدَّوَامِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ في السماوات ولا في الأرض) وقد يكون للحال كقوله: (لا أقسم بيوم القيامة) (فلا أقسم برب المشارق) (فلا أقسم بمواقع النجوم) (فلا وربك لا يؤمنون) وقوله: (وما لكم لا تقاتلون) يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْ مالكم غَيْرُ مُقَاتِلِينَ)[٣]. كما هو الحال (في كثير من القرآن نجد (لا) ليست متعينة لنفي المستقبل، وانما هي لنفي الحال او بمعنى (لم))[٤]. وهذا الارجح على استعمال (لا) اذا دخلت على الفعل المضارع فلا تقيده بزمن بل (الحق انها قد تكون للحال وقد تكون للاستقبال)[٥]. فان قول المؤمنين (لا نفرق) يدل على نفي التفريق بالتصديق والتكذيب في الحال والاستقبال، وأَنَّهُمْ لَيْسُوا كَأهل الكتاب يُؤْمِنُونَ بِبَعْضٍ وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ. والْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ (إِثْبَاتُ النُّبُوَّةِ، وَهُوَ ظُهُورُ الْمُعْجِزَةِ عَلَى وِفْقِ الدَّعْوَى فَاخْتِصَاصُ بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ مُتَنَاقِضٌ، لَا مَا ادَّعَاهُ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ عَدَمُ التَّفْضِيلِ بَيْنَهُمْ)[٦]. فان الله عز وجل بعث كل المرسلين بالإسلام في صورة من صوره المناسبة لحال القوم الذين أرسل إليهم حتى انتهى الأمر إلى خاتم النبيين سيدنا محمد –ﷺ– فجاء بالصورة الأخيرة للدين الواحد، لدعوة البشرية كلها إلى يوم القيامة[٧] .

وقوله (وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) وجملة: (قالوا ...) معَطْوفٌة عَلَى قوله (آمَنَ الرَّسُولُ) وتحتمل ان تكون استئنافيّة لا محلّ لها، وهي اخبار تفيد المدح، وجملتا (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) مقول القول، وتحكي امتثال المؤمنين الأوامر والنواهي إثر حكاية إيمانهم بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وعبر بالسمع هنا للدلالة على الْقَبُولِ وَالْفَهْمِ إذ ليس الْمُرَادُ مِنْهُ السَّمَاعَ الظَّاهِرَ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُفِيدُ الْمَدْحَ، بَلِ الْمُرَادُ أَنَّا سَمِعْنَاهُ بِآذَانِ عُقُولِنَا، أَيْ عَقَلْنَاهُ وَعَلِمْنَا صِحَّتَهُ، وَتَيَقَّنَّا أَنَّ كُلَّ تَكْلِيفٍ وَرَدَ عَلَى لِسَانِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَيْنَا فَهُوَ حَقٌّ صَحِيحٌ وَاجِبُ الْقَبُولِ، ثُمَّ قَالَ

---

(١) المقتضب، المبرد: ١/ ٤٧ .
(٢) التسهيل، ابن مالك: ٥/ ٦ .
(٣) البرهان، الزركشي: ٤/ ٣٥٣ .
(٤) دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة: القسم الأول: ٥٦١/٢ .
(٥) معاني النحو: ٤/ ١٧٦ .
(٦) البحر المحيط: ٢/ ٧٥٨ .
(٧) في ظلال القرآن، سيد قطب: ١/ ٣٤٢ .

بَعْدَ ذَلِكَ (وَأَطَعْنا) فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّهُ كَمَا صَحَّ اعْتِقَادُهُمْ فِي هَذِهِ التَّكَالِيفِ فَهُمْ مَا أَخَلُّوا بِشَيْءٍ مِنْهَا فَجَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَبْوَابِ التَّكْلِيفِ عِلْمًا وَعَمَلًا[١]. فالإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، ويتبين أثر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله في السمع والطاعة، السمع لكل ما جاءهم من عند الله، والطاعة لكل ما أمر به الله. فهو إفراد الله بالسيادة، والتلقي منه في كل أمر. فلا إسلام بلا طاعة لأمر الله، وإنفاذ لنهجه في الحياة. ولا إيمان حيث يعرض الناس عن أمر الله في الكبيرة والصغيرة من شؤون حياتهم أو حيث لا ينفذون شريعته، أو حيث يتلقون تصوراتهم عن الخلق والسلوك وغيرهما عما سواه[٢].

وقوله (غفرانك) جملة استئنافيّة لا محلّ لها، فقد تكون طلبية بمعنى اغفر غفرانا أو خبرية بمعنى نستغفر وقيل غير ذلك[٣] . وان كنت اميل للوجه الاول، إذ المقام مقام طلب مغفرة وترج منه سبحانه الا ان روعة التعبير بهذا الاطلاق اجمل وادل على التذلل والانكسار له سبحانه فيلهج العبد المؤمن مباشرة بلفظ المغفرة. وَقد يقال إنَّ القوم لَمَّا قبلوا التكاليف وعملوا بها، فأَيُّ حاجة بهم إلى طلبهم المغفرة. وذلك لانهم (وإن بذلوا مجهودهم في أداء هذه التكاليف إلا أنهم كانوا خائفين من تقصير يصدر عنهم، فلما جوزوا ذلك قالوا غفرانك ربنا ومعناه أنهم يلتمسون من قبله الغفران فيما يخافون من تقصيرهم فيما يأتون ويذرون) [٤] .

ونلحظ أن طلب هذا الغفران مقرون بأمرين أحدهما: بالإضافة إليه، وهو قوله (غفرانك)، والثاني: أردفه بقوله (ربنا) وهي جملة نداء لا محلّ لها اعتراضيّة. وهذان القيدان يتضمنان فوائد إحداها: أنت الكامل في هذه الصفة، فأنت غافر الذنب، وأنت غفور. وأنت الغفار والذي ليست غفاريته من هذا الوقت، بل كان قبل هذا الوقت غفار الذنوب، فهذه الغفارية كالحرفة له، فقوله هاهنا (غفرانك) يعني أطلب الغفران منك وأنت الكامل في هذه الصفة، والمطموع من الكامل في صفة أن يعطي عطية كاملة، فقوله غفرانك طلب لغفران كامل، وما ذاك إلا بأن يغفر جميع الذنوب بفضله ورحمته، ويبدلها بالحسنات[٥]، كما قال تعالى: (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) حسنات) (الفرقان: ٧٠) .

---

(١) مفاتيح الغيب: ٧/ ١١٣ .
(٢) في ظلال القرآن: ١/ ٣٤٣ .
(٣) ينظر: الجدول في اعراب القرآن: ٣/ ٩٩ .
(٤) مفاتيح الغيب: ٧/ ١١٣ -١١٤ .
(٥) مفاتيح الغيب: ٧/ ١١٤ .

وقوله (وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) وهذه الجملة الاسمية لا محلّ لها معطوفة على استئنافيّة مقدّرة[١] . تفيد الاخبار عن تفويض المؤمنين أمورهم لله سبحانه وتعالى لان المقام (مقام التفويض والإيمان بالقدر خيره وشره، وهو مع ذلك يتضمن الإيمان باليوم الآخر، فالمؤمن الحق يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، ويذعن للحق ويعمل به غير مغتر بعمله، بل يرجو عفو ربه وغفرانه، ثم يفوض أموره إلى ربه، عالما بأن المآل إليه ومصيره عنده سبحانه وتعالى)[٢]. فضلا عن تقديم الجار والمجرور الذي أفاد (الحصر: أَي المصير إِليك لا إِلى غيرك، وهو قصر حَقِيقِيّ قصدُوا بِهِ لَازِمُ فَائِدَتِهِ، وَهُوَ أَنَّهُمْ عَالِمُونَ بِأَنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ، وَلَا يَصِيرُونَ إِلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ يَعْبُدُهُمْ أَهْلُ الضَّلَالِ)[٣] .

أمَّا الآية الثانية فقد كان نصيبها من هذه الجمل متنوع ومتعدد، مع الاشارة الى كثرة ورود الجمل الانشائية بالمقرنة مع الآية السابقة، لاسيما جمل الامر والنهي التي وردت في سياق الدعاء والتضرع الى المولى سبحانه:

قال تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) جملة: (لا يكلّف الله..) لا محلّ لها استئنافيّة، وهي مسوقة للإخبار عن إزالة الحرج عن النفوس ولبيان أن المؤاخذة قاصرة على ما في الوسع والطاقة فما عداه من خواطر النفس وهواجسها لا محاسبة عليه، فان الله سبحانه لا يكلف العباد الا ما يطيقون[٤]، قال ابن عطية: (خبر جزم نص على أنه لا يكلف العباد من وقت نزول الآية عبادة من أعمال القلوب والجوارح إلا وهي في وسع المكلف، وفي مقتضى إدراكه وبنيته، وبهذا انكشفت الكربة عن المسلمين في تأولهم أمر الخواطر)[٥]. وقد جوز بعضهم ان يكون ذلك حِكَايَةً حِكَايَةً عَنِ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ (كأنه تعليل لقولهم سمعنا وأطعنا أي علمنا تأويل قول ربنا: (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه) (البقرة: ٢٨٤) بأنه يدخلها المؤاخذة بما في الوسع، مما أبدي وما أخفي، وهو ما يظهر له أثر في الخارج اختيارا، أو يعقد عليه القلب، ويطمئن به)[٦]. وهذه الجملة القرآنية تدل على خواص تكليف الله تعالى لكل نفس وهي (ان فيها مشقة محتملة، وأنها تكون في الوسع والقدرة من غير حرج ولا ضيق، وأنها تكون من غير مجهود شديد يكون أقصى

(١) ينظر: الجدول في اعراب القرآن: ٣/ ٩٩ .
(٢) زهرة التفاسير: ١٠٩٠ .
(٣) التحرير والتنوير: ٣/ ١٣٤ .
(٤) ينظر: الجدول في اعراب القرآن: ٣/ ١٠١، وإعراب القرآن وبيانه: ١/ ٤٤٩ .
(٥) المحرر الوجيز: ١/ ٣٩٢ .
(٦) التحرير والتنوير: ٣/ ١٣٤ .

الطاقة)[١]. وكذلك مجيء قوله (نفسا) في سياق النفي يفيد عموم نفي تكليف الله عز وجل لعباده فيما لا قدرة لهم عليه، وهي (دليل على عدم وقوع التكليف بما فوق الطاقة في أديان الله تعالى لعموم (نفسا) في سياق النفي، لأن الله تعالى ما شرع التكليف إلا للعمل واستقامة أحوال الخلق، فلا يكلفهم ما لا يطيقون فعله، وما ورد من ذلك فهو في سياق العقوبات، هذا حكم عام في الشرائع كلها)[٢]. إذ الشَرِيعَةُ الإسلامية امْتَازَتْ بِالْيُسْرِ وَالرِّفْقِ .

وقوله (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) جملة: (لها ما كسبت) لا محلّ لها استئناف بيانيّ، وقد عطف عليها قوله (وعليها ما اكتسبت) لا محلّ لها. وأخبر عن ذلك بالجملة الاسمية للدلالة على الثبوت والدوام، بمعنى ان لها خير ما كسبته لنفسها من قول أو فعل، وعليها ضرّ ما جدّت فيه من شر وفجور[٣]. وأفاد التقديم والتأخير في الآية الكريمة الاختصاص، فمن أَقْوى الدَّواعي إلى تحصيل المنافع انها ملك له ومقتصرة عليه إذ منفعة الفعل بفاعله، واقتصار مضرَّته عليه من أشد الزواجر عن مباشرته لها[٤]، وجاء التعبير في الحسنات بقوله: (بـ(لَها) من حيث هي مما يفرح الإنسان بكسبه ويسر بها فتضاف إلى ملكه، وجاءت في السيئات بـ(عَلَيْها)، من حيث هي أوزار وأثقال ومتحملات صعبة. وهذا كما تقول لي مال وعلي دين، وكما قال المتصدق باللقطة: اللهم عن فلان فإن أبى فليّ وعليّ)[٥]. ومما اسهم في تصوير هذه المعاني دلالة (اللام) على الملكية والاختصاص، ودلالة (على) على الاستعلاء، فقَدْ عَلَتْهُ الذنوب والاوزار وَصَارَ تَحْتَهَا يَحْمِلُهَا. وإنما (أَتى في الكسبِ باللامِ وفي الاكتسابِ بـ(على)؛ لأَنَّ اللامَ تقتضي المِلْكَ والخيرَ يُحَبُّ ويُسَرُّ به، فجيء معه بما يَقْتَضِي المِلْكُ، ولَمَّا كان الشرُّ يُحْذَرُ وهو ثِقَلٌ ووِزْرٌ على صاحبهِ جِيءَ معه بـ(على) المقتضية لاستعلائِهِ عليه)[٦]. ويلاحظ جمالية المقابلة في قوله: (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) فقد طابق بين لها وعليها، وبين كسبت واكتسبت. فالفعل الأول يناسب عمل الخير، والفعل الثاني يناسب عمل الشر فإن في الاكتساب اعتمالا، والشر تتشهّاه النفس وتجنح إليه بالطبع بخلاف الخير فإنه يهبط على النفس كما يهبط الفيض من آلاء الله، وكما يشرق اليقين في النفس إشراقا[٧]، في حين قال بعضهم: (فيه إيذانٌ أنَّ

---

(١) زهرة التفاسير: ١٠٩١- ١٠٩٢ .

(٢) التحرير والتنوير:٣/ ١٣٥، وينظر: إعراب القرآن وبيانه: ١/ ٤٤٩ .

(٣) ينظر: الجدول في اعراب القرآن: ٣/ ١٠١ .

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٤/ ٥٣٤ .

(٥) المحرر الوجيز: ١/ ٣٩٣.

(٦) الدر المصون: ٢/ ٧٠٠ .

(٧) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ١/ ٤٥١ .

أنَّ أدنى فعلٍ من أفعال الخير يكون للإنسان تكرُّماً من الله على عبده؛ حتَّى يصل إليه ما يفعله معه ابنه من غير علمه به؛ لأنه من كسبه في الجملة، بخلاف العقوبة؛ فإنه لا يؤاخذ بها إلا من جدَّ فيها واجتهد، وهذا مبنيٌّ على القول بالفرق بين البنائين، وهو الأظهر)[١]. وأفادت هاتان الجملتان الاخبار ترغيبا في كسب الخير وترهيبا وتنفيرا عن فعل الاثم والمعصية. كما ذكر ابو السعود ذلك في قوله (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) انها (للترغيب في المحافظة على مواجبِ التكليف والتحذيرِ عن الإخلال بها بيان أن تكليفَ كل نفسٍ مع مقارنته لنعمة التخفيفِ والتيسير تتضمنُ مراعاتُه منفعةً زائدة وأنها تعود إليها لا الى غيرها ويستتبع الإخلالُ به مضرةً تَحيق بها لا بغيرها، فان اختصاصَ منفعةِ الفعل بفاعله من أَقْوى الدَّواعي إلى تحصيله واقتصارَ مضرَّتِه عليه من أشد الزواجر عن مباشرته)[٢] .

وبعد ذلك ختمت الآية الكريمة بأربعة انواع من الدعاء، حكيت عن المؤمنين، وَذَكَرَ فِي مَطْلَعِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا قَوْلَهُ (رَبَّنا) إِلَّا فِي النَّوْعِ الرَّابِعِ مِنَ الدُّعَاءِ فَإِنَّهُ حَذَفَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ عَنْهَا وَهُوَ قَوْلُهُ (وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنا). وسبب ختم هذه السورة المباركة الْمُشْتَمِلَةَ عَلَى هَذِهِ الْعُلُومِ الْعَظِيمَةِ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ تعالى، لِأَنَّ (الدَّاعِيَ يُشَاهِدُ نَفْسَهُ فِي مقام الفقر والحاجة والذالة وَالْمَسْكَنَةِ وَيُشَاهِدُ جَلَالَ اللَّهِ تَعَالَى وَكَرَمَهُ وَعِزَّتَهُ وَعَظَمَتَهُ بِنَعْتِ الِاسْتِغْنَاءِ وَالتَّعَالِي، وَهُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ)[٣]. وافتتح كل دعاء منها بجملة النداء قوله (ربنا)، وكثيراً ما تُحذَفُ أداة النداء ولا سيما في نداء الرّبّ ودعائه، فتكون مقدَّرة ذِهناً، وهي: (يا). وحذف أداة النداء لَهُ دلالةٌ في نفس البليغ وهي (أنّ المنَادى هو في أقرب منازل القرب من المنادِي، حتّى لَمْ يحتج إلى ذكر أداة نداءٍ لَهُ لشدّةِ قُربِهِ، وهذا يليق بمقام دُعاءِ الرّبّ جلّ وعلا)[٤]، لذلك وجد في القرآن أنّ كلّ نداءٍ فيه دعاءٌ للربّ قد حُذِفَتْ منه أداة النداء، باستثناء نِدَاءَيْنِ نَادَاهُما الرسُول محمّد، ومن دلائل ورود (ربنا) في هذا المقام أن المؤمنين (يرغبون من ربهم الذي هو مربيهم، ومصلح أحوالهم، ولأنهم مقرون بأنهم مربوبون داخلون تحت رق العبودية والافتقار)[٥]. وبعد هذا هذا النداء الذي فيه دعاءٌ للربّ جلّ وعلا، اتت جملة: (لا تؤاخذنا) وهي لا محلّ لها جواب النداء، وكذا جملتا (إن نسينا) و(أو أخطأنا) لا محلّ لهما في حكم التعليل. وصيغة النهي الداخلة على الفعل المضارع تفيد التكليف الإلزاميّ بالترك وعدم الفعل وفي هذا المقام خرجت

(١) اللباب في علوم الكتاب: ٤/ ٥٣٤ .
(٢) إرشاد العقل السليم: ١/ ٢٧٦ .
(٣) مفاتيح الغيب: ٧/ ١١٩ .
(٤) البلاغة العربية، عبد الرحمن حبنكة: ١/ ٢٤٢ .
(٥) البحر المحيط: ٢/ ٧٦٣ .

عن ذلك لتدل على الدعاء[١]. وفيه اكثر من ملحظ منها أن هذا دعاء على سبيل التَّقدير لله عز وجل لأنهم (كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطأ فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كانه قيل إن كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطأ والنسيان)[٢]، وقد يدل هذا الدُّعاء على إظهار التَّضرُّع إلى الله تعالى أو استدامته والاعتداد بالنعمة فيه، لا طلب الفعل؛ لأن الدَّاعي كثيراً ما يدعو بما يقطع بأنَّ الله تعالى يفعله، سواءٌ دعا أو لم يدع[٣]. وفصل بين الجملتين المتعاطفتين بجملة النداء (ربّنا) وهي لا محلّ لها اعتراضيّة، مع أَنَّهُ مستغنى عن إعادة النِّدَاء: لأَنَّ مُخَاطَبَةَ الْمُنَادَى مُغْنِيَةٌ عَنْ إِعَادَةِ النِّدَاءِ لكن قُصِدَ من إِعَادَتِهِ إِظْهَارُ مزيد من التضرّع والتَّذَلُّل له سبحانه[٤]. وجملة: (لا تحمل علينا إصرا) لا محلّ لها معطوفة على جملة لا تؤاخذنا. وهذا الاسلوب الانشائي الطلبي جاء بصيغة النهي التي خرجت للدعاء كسابقتها، ومعناه أن (أولئك المتقين حالهم حال ضراعة لربهم بألا يلقى عليهم آصارا شدادا من التكليفات تثقل عليهم حتى يعجزوا عن أدائها أو لا يؤدوها إلا في حال من الشدة، كما حمل الله جلت قدرته وعلت حكمته على الذين من قبلهم)[٥] من أهل الكتاب فوردت جملة (كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا) في حيز النصب على أنها (صفة لمصدر محذوف أي حملا مثل حملك إياه على من قبلنا، أو على أنه صفة لإصرا أي إصرا مثل الإصر الذي حملته على من قبلنا) [٦] من بعض الأمم الماضية من الأحكام الشاقة مثل أمر بني إسرائيل بتيه أربعين سنة، وبصفات في البقرة التي أمروا بذبحها نادرة ونحو ذلك، وكل ذلك تأديب لهم على مخالفات، وعلى قلة اهتبال بأوامر الله تعالى ورسوله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إليهم[٧] .

وهذا هو الدعاء الثالث ضمن قوله (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ) وقد كررت فيه كلمة (ربنا) لكمال الضراعة ولبيان أن حالهم دائما يتجدد فيها الشعور بالربوبية، وحق الخالق المنعم عليهم[٨].

---

(١) ينظر: البلاغة العربية: ١/ ٢٣١، والجدول في اعراب القرآن: ٣/ ١٠١ .
(٢) الكشاف: ١/ ٣٣٢ .
(٣) ينظر: المصدر نفسه، و مفاتيح الغيب: ٧/ ١٢٠ .
(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٣/ ١٤٠، والجدول في اعراب القرآن: ٣/ ١٠١ .
(٥) زهرة التفاسير: ١٠٩٣ .
(٦) روح المعاني: ٢/ ٦٨ .
(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٣/ ١٤١ .
(٨) إرشاد العقل السليم: ١/ ٢٧٧ .

وقَوْلَهُ (لا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ) لا محلّ لها معطوفة على جملة لا تؤاخذنا وجملة: (لا طاقة لنا به) لا محلّ لها صلة الموصول (ما). وكذا هذه الجملة اتت بأسلوب الانشاء طلبي جاء بصيغة النهي التي خرجت للدعاء كسابقتها[١]، وهذا الدعاء هو (تدرج مترتب على الدعاء السابق. لقد ضرعوا إلى الله ألا يختبرهم ذلك الاختبار الشديد الذى ألقى على عاتق من سبقوهم أو يخشون ألا يقوموا بحقه كما قام من قبلهم ثم يضرعون الآن ألا يكلفوا إلا ما يطيقون، أي أنهم على أتم استعداد لأن يبذلوا أقصى قدرتهم، وغاية قوتهم، فإن الطاقة أقصى القدرة)[٢]. ويلحظ ان ان الدعاء في هذا المقام اعم من سابقه، وذلك لعموم دلالة جملة الصلة، قال ابو حيان: (ما، في قوله (ما لا طاقة لنا به) عام، وهذا أعم من الذي قبله في الآية، لأنه قال في تلك: (ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا) فشبه الإصر بالإصر الذي حمله على من قبلهم، وهنا سألوا أن لا يحملهم ما لا طاقة لهم به، وهو أعم من الإصر السابق لتخصيصه بالتشبيه. وعموم هذا)[٣]. وهذه الأدعية المباركة اتت بلفظ الجمع في قوله: (رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الذين مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ)، في حين ان لفظ الإفراد أكثر تذلُّلاً وخضوعاً من التَّلفُّظ بنون الجمع. والفائدة المرجوة من ذلك ان (قبول الدُّعاء عند الاجتماع أكثر، وذلك لأن للهمم تأثيراتٍ، فإذا اجتمعت الأرواح والدَّواعي على شيء واحدٍ، كان حصوله أكمل)[٤] .

وهذا النوع الرابع من الدُّعَاء فإنَّه ورد مجردا من قوله(ربنا)وهو قوله (وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا). الاولى(وَاعْفُ عَنَّا) لا محلّ لها معطوفة على جملة لا تؤاخذنا. وجملتا(اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا)لا محلّ لهما معطوفتان على جملة (اعف) أو (لا تؤاخذنا)[٥]. وهذه الجمل القرآنية اتت بأسلوب الانشاء الطلبي وجاءت بصيغة طلب الفعل الذي خرج للدعاء بدلالة القرينة اللفظية. ومن اسرار ورود هذه الادعية مجردة عن قوله (ربنا) لان النِّدَاء (إنما يحتاج إليه عند البعد، أما عند القرب فلا، وإنما حذف النداء إشعارا بأن العبد إذا واظب على التضرع نال القرب من الله تعالى، وهذا سر عظيم يطلع منه على أسرار أخر)[٦]. ومن دلائل خلوها عن قوله (ربنا)، في هذه الجمل الطلبية أخيرا لأنها نتائج ما تقدم من الجمل التي دعوا فيها: بـ(ربنا)، فكل جملة منها

(١) ينظر: الجدول في اعراب القرآن: ٣/ ١٠١ .
(٢) زهرة التفاسير: ١٠٩٤ .
(٣) البحر المحيط: ٢/ ٧٦٥ –٧٦٦ .
(٤) مفاتيح الغيب: ٧/ ١٢٤ .
(٥) ينظر: الجدول في اعراب القرآن: ٣/ ١٠١ .
(٦) مفاتيح الغيب: ٧/ ١٢٤ .

تقابل جملة سابقة مقرونة بقوله(ربنا)، قال ابو حيان: (ولم يأت لفظ: ربنا، في الجمل الطلبية أخيرا لأنها فروع ونتائج ما تقدم من الجمل التي دعوا فيها: بـ(ربنا)، وجاءت مقابلة كل جملة من الثلاث السوابق جملة، فقال لا تؤاخذنا بقوله واعف عنا وقابل ولا تحمل علينا إصرا. بقوله: واغفر لنا وقابل قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به بقوله: وارحمنا لأن من آثار عدم المؤاخذة بالنسيان والخطأ العفو، ومن آثار عدم حمل الإصر عليهم المغفرة، ومن آثار عدم تكليف ما لا يطاق الرحمة)[١]، فَإِذا اسْتُجِيبَ تِلْكَ الدعوات حَصَلَتْ إِجَابَةُ هَذِهِ بِالْأَوْلَى، لانهما كالدعاء الواحد فَإِنَّ (الْعَفْوَ أَصْلٌ لِعَدَمِ الْمُؤَاخَذَةِ، وَالْمَغْفِرَةَ أَصْلٌ لِرَفْعِ الْمَشَقَّةِ وَالرَّحْمَةَ أَصْلٌ لِعَدَمِ الْعُقُوبَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ تَعْمِيمًا بَعْدَ تَخْصِيصٍ، كَانَ كَأَنَّهُ دُعَاءٌ وَاحِدٌ)[٢] .

وقَوْلَهُ (أَنْتَ مَوْلَانَا) جملة اسمية خبرية، لا محلّ لها استئنافيّة تعليليّة. تفيد المدح في ضمنه تقرب إلى الله تعالى وشكر على نعمه التي لا تحصى[٣]، وهَذِهِ الْكَلِمَةَ (تَدُلُّ عَلَى نِهَايَةِ الْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ وَالِاعْتِرَافِ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُتَوَلِّي لِكُلِّ نِعْمَةٍ يَصِلُونَ إِلَيْهَا، وَهُوَ الْمُعْطِي لِكُلِّ مَكْرُمَةٍ يَفُوزُونَ بِهَا فَلَا جَرَمَ أَظْهَرُوا عِنْدَ الدُّعَاءِ أَنَّهُمْ فِي كَوْنِهِمْ مُتَكَلِّمِينَ عَلَى فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ بِمَنْزِلَةِ الطِّفْلِ الَّذِي لَا تَتِمُّ مَصْلَحَتُهُ إِلَّا بِتَدْبِيرِ قَيِّمِهِ، وَالْعَبْدِ الَّذِي لَا يَنْتَظِمُ شَمْلُ مُهِمَّاتِهِ إِلَّا بِإِصْلَاحِ مَوْلَاهُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ قَيُّومُ السموات وَالْأَرْضِ، وَالْقَائِمُ بِإِصْلَاحِ مُهِمَّاتِ الْكُلِّ، وَهُوَ الْمُتَوَلِّي فِي الْحَقِيقَةِ لِلْكُلِّ)[٤]، ووردت هذه الجملة مفصولة عما قبلها لأَنَّها (كَالْعِلَّةِ لِلدَّعَوَاتِ الْمَاضِيَةِ: أَيْ دَعَوْنَاكَ وَرَجَوْنَا مِنْكَ ذَلِكَ لِأَنَّكَ مَوْلَانَا، وَمِنْ شَأْنِ الْمَوْلَى الرِّفْقُ بِالْمَمْلُوكِ)[٥]، ومجيء هذه الدعوة الدعوة هنا كَالْمُقَدَّمَةِ لِلدَّعْوَةِ الْآتِيَةِ ضمن قوله (فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) وهذه الجملة الفعلية: لا محلّ لها استئنافيّة مسبّبة عن سبب. لأنهم دعوا الله عز وجل وكونه تعالى مولاهم، ومالك تدبيرهم، وأمرهم، ينشأ عن ذلك النصرة لهم على أعدائهم، قال ابو حيان في تفسير قوله(فانصرنا على القوم الكافرين) انه(أدخل الفاء إيذانا بالسببية. لأن كونه تعالى مولاهم، ومالك تدبيرهم، وأمرهم، ينشأ عن ذلك النصرة لهم على أعدائهم، كما تقول: أنت الشجاع فقاتل، وأنت الكريم فجد علي. أي: أظهرنا عليهم بما تحدث في قلوبنا من الجرأة والقوة، وفي قلوبهم من الخور

(١) البحر المحيط: ٢/ ٧٦٣ .
(٢) التحرير والتنوير: ٣/ ١٤١ .
(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ١/ ٣٩٥، والجدول في اعراب القرآن: ٣/ ١٠١ .
(٤) مفاتيح الغيب: ٧/ ١٢٥ .
(٥) التحرير والتنوير: ٣/ ١٤١ .

والجبن)[١]. وهذا الدعاء يكشف لنا عن مدى إحساس المؤمنين بان الله تعالى معينهم وكالئهم وناصرهم وممدهم بفضله، وقد طلبوا منه النصرة الدائمة على القوم الكافرين[٢] .

الخاتمة

وبعد هذه الجولة الممتعة بين مصادر ومراجع البحث، لإكمال مادته ورسم صورته الوضيئة، أود أن أجمل خلاصة ما مرّ ذكره، وسبق بيانه بأوجز عبارة وأخصر قول:

ابتدأت البحث بتمهيد عرَّفت فيه بـ(سورة البقرة)، فذكرت انها مدنية وبينت أهم أسمائها التي اشتهرت بها، وتعليل هذه التسميات المباركة، كما لخصت فيه أغراضها وما احتوته من مواضيع، ثم أوردت أبرز الأحاديث الشريفة بخصوص فضلها وأهميتها، فضلا عن خواتيم سورة البقرة موضوع البحث .

وشرعت في المبحث الاول الذي يتناول الصيغ الفعلية، فقد احصيت فيه مجموعة متنوعة من الأفعال سواء كانت أفعال ماضية أو مضارعة أو أمر، وبلغ عددها الكلي(١٩) تسعة عشر فعلا عدا المكرر. ويلاحظ أنَّ الآية الاولى كان نصيبها من هذه الافعال أقل من الآية الثانية وبشكل واضح اذ بلغ(٦) ستة أفعال فقط عدا المكرر، أكثرها جاء بصيغة الماضي، أمّا الآية الثانية فقد بلغت افعالها(١٣) ثلاثة عشر فعلا، فقد كان لصيغة الماضي منها(٥) خمسة أفعال، في حين احتوت كل من صيغة المضارع والأمر على(٤) أربعة أفعال .

ثم انتقلت الى المبحث الثاني فقد رصدت فيه أنواع الاسماء، سواء كانت مصادر او ما دلت على العموم او اسماء موصولة او ضمائر متكلم او مخاطب او الغائب وغير ذلك، ومما يلفت النظر أن الاسماء كانت متساوية من حيث الاعداد مع الاختلاف في بعض الانواع، واستعمال اللفظة في حالات متعددة من الافراد والجمع والتذكير والتأنيث والاظهار والاضمار وغير ذلك له دور فاعل من حيث إثراء النص الشريف وإغنائه .

أما المبحث الثالث فقد ورد فيه مجموعة متنوعة من التراكيب التي كان لها دور مهم في تصوير المعاني التي يراد إيصالها الى ذهن السامع، فبعضها كان من الجمل الاسمية التي تدل على اللزوم والفعلية التي تدل على التجدد والحدوث كما دلت عليه القرائن في موضعه، وكذا تنوعها من حيث الخبر والانشاء وغيرهما، مما اسهم في ثراء معاني الآيتين والوفاء بالأغراض التي سيقت من اجلهما، حسبما يقتضيه المقام .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) البحر المحيط: ٢/ ٧٦٧ .

(٢) ينظر: زهرة التفاسير: ١٠٩٥ .

المصادر والمراجع:

- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م .
- ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٩٩٩م .
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ)، ط٤، دار الإرشاد للشئون الجامعية –سورية، ١٤١٥ هـ .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تحـ: محمد عبد الرحمن المرعشلي،ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٨ هـ .
- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحـ: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ .
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م .
- بصائر ذوي التمييز بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)،تحـ: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية–القاهرة، جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م،جـ ٤، ٥: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م، جـ ٦: ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م .
- البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ)،ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت٦١٦هـ)، تحـ: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي–القاهرة، ١٩٧٠م .
- التحرير والتنوير المسمى بـ(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ م .
- التسهيل، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، وزارة الثقافة – مصر، ١٩٨٧م .
- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧ م .
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، ط١، ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م .
- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحـ: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .
- الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت١٣٧٦هـ)، ط٤، دار الرشيد، دمشق، ١٤١٨ هـ .
- الجملة العربية تأليفها وأقسامها، د. فاضل صالح السامرائي، منشورات المجمع العلمي – بغداد، ١٩٩٤.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

● دراسات قرآنية في جزء (عَمَّ): د. محمود أحمد نحلة . ط١، دار العلوم العربية، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .
● دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة (ت١٤٠٤هـ)، دار الحديث -القاهرة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م .
● الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحـ: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق .
● دلائل الاعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحـ: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط٣، مطبعة المدني بالقاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
● روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحـ: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت
، ١٤١٥ هـ .
● زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)،
دار الفكر العربي، ١٩٨٧ م .
● السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ)، تحـ: شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف - مصر، ١٤٠٠هـ .
● الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ)، تحـ: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين - بيروت
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
● فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ١٤١٤ هـ .
● الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحـ: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، ١٩٧٩م .
● في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، ط١٧، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ١٤١٢ هـ .
● الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت١٨٠هـ)، تحـ: عبدالسلام محمد هارون. ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
● الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، ط٣، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٧ هـ .
● لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر - بيروت ١٤١٤ هـ .
● اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (ت٧٧٥هـ)، تحـ: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م .
● محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، تحـ: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلميه - بيروت، ١٤١٨ هـ .

●المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (ت٥٤٢هـ)، تحـ: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٢ هـ .

●المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحـ: خليل إبراهم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

● مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحـ: شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م .

● معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الفراء (ت٢٠٧هـ)، تحـ: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط١، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ١٩٧٩م .

● معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ)، ط١، عالم الكتب – بيروت، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

● معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٨هـ –٢٠٠٧م .

● مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي (ت٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٢٠ هـ .

● المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، تحـ: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة– لبنان، ١٩٨٨ م .

● مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحـ: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

● المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، المعروف بالمبرد (ت٢٨٥هـ)، تحـ: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب–بيروت، ١٤١٥هـ–١٩٩٤م .

● نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م .